الصّراط

الرقم السادس والستّون
رمضان كريم ١٤٤١

رمضان

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

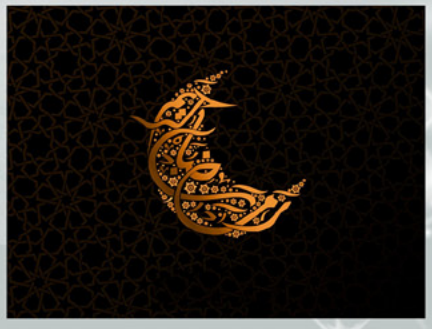

خصال شهر رمضان

الوعد الحقّ في شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن

قال الحسن بن علي عليه السلام:
«من عبد الله عبّد الله له كلّ شيء.»

«مجموعة ورام»، ج ٢، ص ١٠٨.

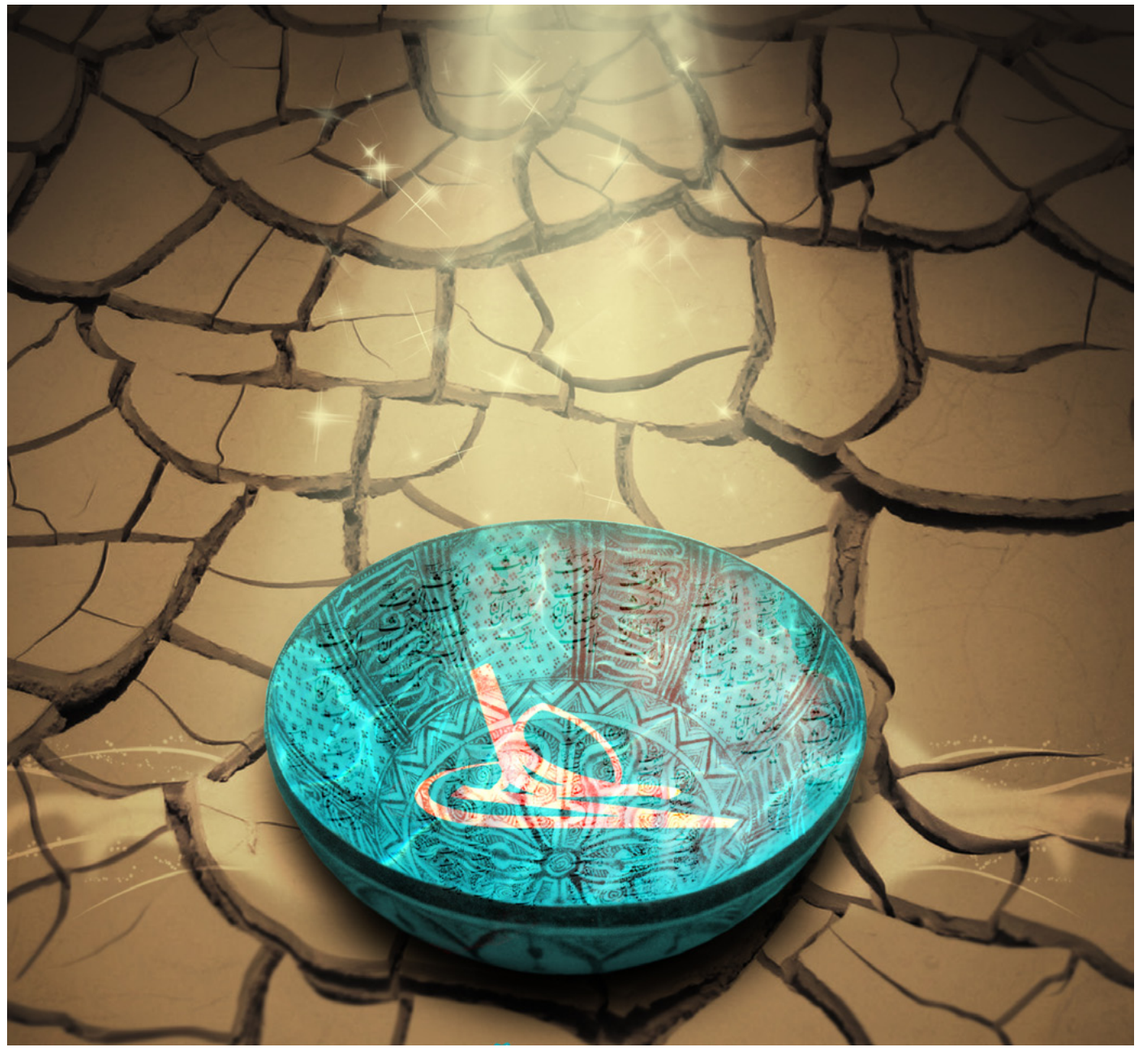

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران – ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٨٨٩٤١٤٠٢

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهرس

منــوّعات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤-٧
خصال شهر رمضان - الوعد الحق في شهادة أميرالمؤمنين علي بن ابى‌طالب عليه السلام / ٨-١٢
القضاء والقدر: توهم المستحيل / ١٣
الأسئلة والأجوبة: الفرق بين الحديث القدسي والقرآن / ١٥
الحكايات: كفنها من الجنة / ١٧
تقديم الكتاب: إيمان أبي‌طالب عليه السلام / ١٨

الدراسات الثقافية

خيوط العنكبوت: اليهود في الهند والسند / ٢٠
قادة الإسلام: السيدة خديجة الكبرى عليها السلام / ٢٣
أصابع خفية: آل مورغان وإمبراطورية المال الأمريكية / ٢٥
الحرب السكانية العالمية: السكان الجيدون والسكان الرديئون / ٢٧
الأوليغارشية الحاخامية... : اليهود والسحر في العصور الوسطى / ٣٢
الطبّ الإسلامي: الفاصوليا / ٣٥

الدراسات المهدوية

المدّعون الكذّابون: دعوى أحمد إسماعيل السفارة - القسم الثاني / ٤٠
عوالم الحكومة المهدوية: إنه عصر الظهور / ٤٤
تكاليف المنتظرين: صلة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة المال / ٤٦
دولة كريمة: في المـُنجَزات القضائية والعبادية والفقهية / ٤٨
الكرّة: محكمة الظهور ويمثل أمامها المجرمون الموتى / ٥٢

الحياة الإيمانية

المستبصرون: ابراهيم مختار ساماكى / ٥٤
صفات الشيعة: الأقوياء في الدين / ٥٦
سيرة الأخيار: الأخ السديد، الشيخ المفيد! / ٥٦

معــرفــة الإمــام

دور الأئمة عليهم السلام في إحياء الدين: صلح الحسن عليه السلام / ٦٠
خير البرية: الرعاية الخاصة التي اولاها النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام / ٦٤

أقوال النبي ﷺ في الصحة

تزيّن لافتات رئيسية في شيكاغو

رفعت مدينة «شيكاغو» بولاية «إلينوي» الأمريكية لافتات دعائية(لوحات إعلانية) تحمل أقوال عن الرسول ﷺ توصي بالنظافة والوقاية من إنتشار الأمراض المعدية.

وهناك لافتات كبيرة تتوسط الشوارع الرئيسية في معرض رؤية الجميع أصبحت تحمل منذ فترة أحاديث وروايات عن رسول الله ﷺ حول النظافة وتحث المواطنين على الوقاية من إنتشار الوباء.

وجاء فيها عن الرسول ﷺ :

- **«أغسلوا أيديكم دائماً.»**
- **«وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْه (الطاعون).»**
- **«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ [الطاعون] بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ.»**

وترفع اللافتات الشكر الجزيل لجميع العاملين والعاملات فى المجال الصحى بالتحديد فى مجال مكافحة فيروس كورونا.

وقامت منظمة «غين بيس» (Gain Peace) الإسلامية في مدينة شيكاغو برفع هذه اللافتات كما رفعتها من قبل.

جدير بالذكر أن منظمة غين بيس (Gain Peace) الإسلامية هي منظمة إسلامية غير ربحية تهدف إلى تعريف الشعب الأمريكي على الإسلام والقضاء على الدعاية الكاذبة والمفاهيم الخاطئة عن الدين.

المصدر: https://iqna.ir/ar/news/3476248/

عملية السياج...

حرب الأدمغة وحرب الإرادات

ما حدث على حدود «لبنان» مع «فلسطين المحتلة»، من احتراق للسياج الشائك وإزالة أجزاء منه، أثار حالا من البلبلة للعدو الصهيوني، إذ كشف ثغرات خطيرة، وأكدت له في المقابل الصحوة الدائمة للمقاومة وجهوزيتها الدائمة.

فبعد أن تعرّضت سيارة لبنانية عند الحدود اللبنانية – السورية ظهر الأربعاء الماضي لصاروخ موجّه من الجو أصابها بدقة فدمّرها، اكتشف جيش الاحتلال الإسرائيلي عند الحدود اللبنانية الفلسطينية أن السياج الحدودي ممزق في ثلاثة مواضع مختلفة، وأن بعض الفتحات التي خلّفها هذا التمزيق كانت كافية لعبور آليات.

لم تتبنّ أي جهة المسؤولية عن أيّ من الحادثتين، وإن كانت المواكبة الإعلامية الإسرائيلية لهما كافية وحدها للدلالة القطعية على أن الأمر يتعلق بفعل إسرائيلي وردّ فعل من قبل حزب الله.

عملياتيًا، قدّم الكيان عرضاً مكرراً من دقته الاستخبارية والتنفيذية المشهود له فيهما، فعمدت المقاومة إلى تقديم عرضٍ مشوقٍ على أكثر من صعيد، لعل أهمها يكمن في أمرين:

الأول، الفاصل الزمني شبه الصفري بالمعنى العملياتي (أخذاً في الاعتبار الوقت الافتراضي المطلوب لدراسة الحدث ومسار صناعة القرار القيادي) بين الاعتداء وردّ الفعل، ما يشي بأن الجهة المنفّذة كانت تتوفر على خيارات عملياتية جاهزة وتنتظر حصراً أوامر الجهات القيادية العليا لتباشر الإجراء. هذا الاستنتاج يعني أننا سنكون مستقبلاً أمام نمط جديد من ردود فعل المقاومة لجهة الالتصاق الزمني المباشر بأفعال العدو، بما يفرضه ذلك من أثر ردعي وإجرائي في حسابات العدو.

الثاني، يرتبط بالكفاءة التنفيذية التي انطوت عليها «عملية» تمزيق السياج وعبوره «المجازي». نظافة العملية «أحرجت الأنظمة الدفاعية لقيادة المنطقة الشمالية» في جيش الاحتلال، على حدّ تعبير أحد محلّليه الأمنيين، ما قد يستدعي «إعادة النظر في المفهوم الدفاعي على الحدود بعمق». ليست الحكاية أن مجموعات نجحت في تنفيذ المهمة الموكلة إليها والعودة بسلام من دون أن تكتشفها ما يُفترض أنها المنظومة الحدودية الأذكى في العالم، بل إن بعض الأماكن التي اختيرت لتكون موقع الحدث، على ما يقول عارفون، كانت تقع في وسط حقول الرؤية المباشرة لعدد من المراصد المنصوبة في الجهة الأخرى من الحدود.

في سياق أبعد مدى، تسجل «عملية السياج» نقطة نظام حتمية في دعوى الإنجاز الاستراتيجي التي روّج لها العدو قبل عام ونصف عام، مع إطلاقه عملية «درع الشمال» وزعمه القضاء على شبكة الأنفاق التي أعدّها حزب الله للعبور إلى الجليل في يوم الأمر.

يمكن القول إن «عملية السياج»، عملياً، صفّرت إلى حدّ كبير ذاك الإنجاز. هي أسقطت عن الشمال درعه، وكرّست انكشافه الواقعي أمام إرادة المقاومة ومفاجآتها، وأعادت إلى الأذهان مرة أخرى أن الأصل في مواجهة العدو، في ظل امتيازاته التقنية المتفوّقة هو مزيج إبداعي من «حرب الأدمغة» و«حرب الإرادات».

المصدر: https://www.alalamtv.net/news/4878261/

مسلمو آسيا وصعوبة الالتزام بالتباعد الاجتماعي خلال رمضان

ينتظر أكثر من مليار مسلم في آسيا حلول شهر رمضان حيث يواصل رجال الدين دعوة الناس إلى المجيء إلى المساجد خلال شهر الصوم على الرغم من التباعد الذي تقتضيه جائحة كورونا. حاولت السلطات الحد من تداعيات الوباء خلال رمضان الذي قد يبدأ الخميس في آسيا، ولكن في كثير من الحالات تجاهل رجال الدين المخاوف والتحذيرات بشأن الممارسات والأنشطة التي يمكن أن تساهم في نشر فيروس كوفيد-١٩.

• في «بنجلاديش»، انتقد رجال الدين محاولات خفض عدد من يذهبون إلى المساجد، وطالبوا الحكومة بالسماح لملايين المسلمين بالمشاركة في الصلوات اليومية والأسبوعية. وقال **مجيب الرحمن حميدي** العضو البارز في جماعة حفظة الإسلام: **نحن لا نقبل ما تمليه الحكومة بالنسبة إلى عدد المصلين. الإسلام لا يجيز تحديد عدد المصلين الذين يؤمون المساجد.**

وذكّر الزعماء الإسلاميون في بنجلاديش، حيث تحدى عشرات الآلاف من الأشخاص تدابير الإغلاق السبت لحضور جنازة أحد كبار العلماء، بأن المشاركة في الصلاة في المسجد «فريضة» على كل مسلم صحيح الإيمان.

• وفي «باكستان»، قال رجال الدين إن العبادة أهم من المخاوف التي يثيرها فيروس كورونا. وتعرضت السلطات لضغوط دينية للسماح بإقامة الصلاة اليومية والتجمع في المساجد بعد الإفطار بعدما وعد علماء الدين بتوجيه القادة الدينيين للحفاظ على نظافة مرافقهم بانتظام. وقبل أيام من حلول رمضان، امتلأت المساجد في مختلف أنحاء باكستان بالمئات ممن شاركوا في صلاة الجمعة وجلسوا جنبًا إلى جنب من دون أي اعتبار لتعليمات التباعد الاجتماعي.

تم تسليط الضوء على التهديد الذي تمثله التجمعات الدينية الكبيرة بالنسبة لانتشار الفيروس في الأسابيع الأخيرة من خلال ثلاث موجات من العدوى في آسيا مرتبطة بتجمعات إسلامية منفصلة وهائلة في «ماليزيا» وباكستان والهند. ومع نحو مليار مسلم، تعد آسيا موطن بعض أكبر التجمعات السكانية المسلمة في العالم امتدادًا من الأرخبيل الإندونيسي إلى «جبال هندوكوش» في «أفغانستان».

كانت حصيلة الوفيات في المنطقة بسبب كوفيد-١٩ أقل بكثير مقارنة بأوروبا والولايات المتحدة، لكنها ترتفع بشكل مضطرد، ما أثار مخاوف من أن الفيروس قد يستنفد بسرعة طاقة مرافق الرعاية الصحية التي تعاني من نقص التمويل في كثير من الأحيان. لقد دفع وباء كورونا المستجد بحكومات آسيا إلى إغلاق المدارس والأعمال التجارية، لكن المساجد ظلت مفتوحة إلى حد كبير.

وخلال شهر رمضان، يقصد المسلمون المساجد يوميًا للصلاة كما تقدم المساجد وجبات إفطار كبيرة، فيما تجتمع العائلات للإفطار بحضور الاقارب والأصدقاء في المنزل. في جنوب شرق آسيا، نشأ جدل حاد في ماليزيا حول ما إذا كان سيسمح بتنظيم بازارات رمضان الشعبية حيث تباع الأطباق المحلية قبل الإفطار.

• وفرضت ماليزيا الإغلاق في جميع أنحاء البلاد سعيًا لاحتواء الوباء، وقالت الحكومة الأسبوع الماضي إنه لضمان الابتعاد الاجتماعي، فإنها ستسمح فقط بما سمته «البازارات الإلكترونية»، ليحصل الراغبون على طلباتهم عبر الإنترنت من الباعة المحليين الذين يوصلونها إلى منازلهم.

وتشير بعض الدلائل إلى أنه لن يتم الالتزام بالأمر، إذ قالت سلطات ولاية بيرليس الشمالية إنها ستسمح لباعة الأطعمة بالعمل من المنزل وعلى جانب الطرق، ما قد يزيد من فرصة تجمع أعداد كبيرة من الشارين حولهم.

• وفي «إندونيسيا»، اضطر الرئيس خوفًا من انتشار العدوى وارتفاع سريع في عدد الإصابات إلى فرض حظر على التوجه من المدن إلى البلدات والقرى كما جرت العادة خلال شهر رمضان حين يسافر الملايين لزيارة أهلهم وأقاربهم. ودعت الحكومة سكان المدن الكبرى، بينها العاصمة جاكرتا، إلى البقاء في أماكنهم، وقال الرئيس **جوكو ويدودو** إنه سيحظر الهجرة الجماعية.

وحذر باحثون في جامعة إندونيسيا من أن حركة السفر الكثيفة يمكن أن تتسبب في «جزيرة جاوا» ذات الكثافة السكانية العالية وحدها بنحو مليون إصابة و٢٠٠ ألف وفاة.

المصدر: https://ar.shafaqna.com/AR/211246/

تمييز عنصري في التعامل مع المسلمين المصابين بكورونا في الهند

تشهد «الهند» تعاملاً عنصرياً ضد المسلمين المصابين بفيروس كورونا والكادر الطبي المسلم.

وفقد أخيراً طفلان حياتهما بسبب عدم قبول المستشفيات لأمهاتهما المسلمتين لأسباب عنصرية.

وإمتنع مستشفى مدينة «جمشيد بور» بولاية «جاركند» عن قبول إمرأة مسلمة كانت تنزف حيث تعرضت للضرب وإتهمت بأنها مصابة بكورونا.

وجاء هذا الشحن العنصري بعد إعلان أعضاء حزب «بهاراتيا جاناتا» الحاكم بزعامة رئيس الوزراء **نارندرا مودي** تنظيم مجموعة إسلامية لندوة أواسط شهر مارس الماضي في نيودلهي سبباً في إنتشار فيروس كورونا في الهند.

وأعلنت لجنة الحقوق الإنسان الإسلامية في «لندن» ان مستشفيات منطقة كشمير الإسلامية التى تسيطر عليها الهند تعانى من قلة الأطباء وشح في تجهيزات المحافظة من العاملين فى المستشفيات.

ودعت اللجنة جميع النشطاء إلى الاتصال بالمنظمات الدولية بما في ذلك المفوضية العليا لحقوق الانسان للاحتجاج على الوضع الصحي في إقليم «كشمير».

المصدر: https://iqna.ir/ar/news/3476283/

خصال شهر رمضان

أولى اهل البيت عليهم السلام لشهر رمضان اهتماما كبيرا في احاديثهم وبينوا فضله ومنزلته العظيمه للمسلمين جميعا فهو شهر نزول «القران الكريم» والمغفرة للعباد والعتق من النار.

وهو شهر امتازت به الامه الاسلاميه عن سائر الامم فلا تجد مكانا فيه ثلة مسلمه الا وتجدهم يحتفلون بالشهر العظيم بالصيام والبهجه وصله الارحام والتصدق على المحتاجين والاحسان لبعضهم البعض فهو شهر يجمع الناس لكل خير.

وهنا سنذكر بعض فضائله ومنزلته عند اهل البيت عليهم السلام على نحو الاختصار تجنبا للاطاله.

شهر ثقل فيه الموازين

قال النبي صلى الله عليه وآله في فضل شهر رمضان: «**من أكثر فيه من الصلاة علي ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين.**»[١]

لا تقولوا رمضان

كنا عند الإمام الباقر عليه السلام ثمانية رجالٍ، فذكرنا رمضان، فقال عليه السلام: «**لا تقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله عز وجل، لا يجيء ولا يذهب، وإنما يجيء ويذهب الزائل. ولكن قولوا: شهر رمضان، فالشهر المضاف إلى الاسم، والاسم اسم الله، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، جعله الله تعالى مثلا وعيدا.**»[٢]

عن الصادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «**لا تقولوا رمضان ولا جاء رمضان قولوا: شهر رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان.**»[٣]

خصال شهر رمضان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس خصال لم يعطاها أحد قبلهن: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وتستغفر له الملائكة حتى يفطر. وتصفد فيه مردة الشياطين، فلا يصلوا فيه الى ما كانوا يصلون في غيره.**»[٤]

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم يعطهن أمة نبي قبلي. أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه.**

والثانية، خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

والثالثة، يستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة.

والرابعة، يقول الله عز وجل لجنته: تزيني واستعدي لعبادي يوشك أن يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها ويصيروا إلى دار كرامتي.

والخامسة، إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان غفر الله عز وجل لهم جميعا.»

فقال رجل: **يارسول الله! أ هي ليلة القدر؟**

قال صلى الله عليه وآله: «**لا أما ترون العمال إذا عملوا كيف يؤتون أجورهم؟**»[٥]

عن **الحسن بن عبد الله** عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: **لأي شئ فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوما وفرض الله على الأمم أكثر من ذلك؟**

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**إن آدم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوما ففرض الله عز وجل على ذريته ثلاثين يوما الجوع والعطش والذي يأكلونه بالليل تفضل من الله عز وجل عليهم وكذلك كان على آدم ففرض الله ذلك على أمتي**»

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: «**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيّاماً مَعْدُودات**»[٦]

قال اليهودي: **صدقت يا محمّد فما جزاء من صامها؟**

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا الا أوجب الله عز وجل له سبع خصال:**

أولها: يذوب الحرام في جسده؛

والثانية: يقرب من رحمة الله عز وجل؛

والثالثة: يكون قد كفر خطيئة أبيه آدم؛

والرابعة: يهون عليه سكرات الموت؛

والخامسة: أمان من الجوع والعطش يوم القيامة؛

والسادسة: يعطيه الله براءة ومن النار؛

والسابعة: يطعمه الله عز وجل من طيبات الجنة.»[٧]

قال: **صدقت يا محمّد.**

شهر المغفرة

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**في أول ليلة من شهر رمضان يغل المردة من الشياطين، ويغفر في كل ليلة سبعين ألفا، فإذا كان في ليلة القدر غفر الله بمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء، فيقول الله عز وجل: أنظروا هؤلاء حتى يصطلحوا.**»[٨]

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**يا جابر! من دخل عليه شهر رمضان، فصام نهاره، وقام وردا من ليلته، وحفظ فرجه ولسانه، وغض بصره، وكف أذاه، خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه.**»

قلت له: **جعلت فداك! ما أحسن هذا من حديث!**

قال عليه السلام: «**ما أشد هذا من شرط!**»[٩]

عن **محمّد بن مسلم الثقفي** يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «**إن لله تعالى ملائكة موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في كل يوم من شهر رمضان إلى آخره، وينادون الصائمين كل ليلة عند إفطارهم: أبشروا عباد الله فقد جعتم قليلا وستشبعون كثيرا بوركتم وبورك فيكم، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان نادى: أبشروا عباد الله غفر لكم ذنوبكم وقبل توبتكم فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون.**»[١٠]

شهر العتق من النار

عن **محمّد بن مروان** قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «**ان لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلقاء من النار إلا من أفطر على مسكر فإذا كان آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتقه في جميعه.**»[١١]

شهر ليس كالشهور

قال **عبد الله بن عباس**: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**شهر رمضان ليس كالشهور لما تضاعف فيه من الأجور هو شهر الصيام وشهر القيام وشهر التوبة والاستغفار وشهر تلاوة القرآن هو شهر أبواب الجنان فيه مفتحة وأبواب النيران فيه مغلقة هو شهر يكتب فيه الآجال ويبث فيه الأرزاق وفيه ليلة فيها يفرق كل أمر حكيم ويكتب فيها وفد بيت الله الحرام تتنزل الملائكة والروح فيها عليه الصائمين والصائمات باذن ربهم في كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر إلى قابل فبادروا بالأعمال الصالحات الآن وباب التوبة مفتوح والدعاء مستجاب قبل: أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وأن كنت لمن الساخرين.**»[١٢]

شهر لتزكية الابدان

عن الصادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: «**ألا أخبركم بشئ إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب؟**»

قالوا: **بلى.**

قال صلى الله عليه وآله: «**الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه ولكل شئ زكاة وزكاة الأبدان الصيام.**»[١٣]

شهر لا ترد فيه الدعوات

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أربعة لا ترد لهم دعوة ويفتح لهم أبواب السماء ويصير إلى العرش، دعاء الوالد لولده والمظلوم على من ظلمه والمعتمر حتى يرجع والصائم حتى يفطر.**»[١٤]

سيد الشهور

عن عبيد الله بن عبد الله عمن سمع أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لما حضر شهر رمضان وذلك لثلاث بقين من شعبان قال لبلال: ناد في الناس فجمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان هذا الشهر قد حضركم وهو سيد الشهور فيه ليلة خير من الف شهر تغلق فيه أبواب النيران وتفتح فيه أبواب الجنان.**»[١٥]

عن المسمعي أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يوصي ولده ويقول: «**إذا دخل شهر رمضان فاجهدوا أنفسكم فيه فان فيه تقسيم الأرزاق ويثبت الآجال ويكتب وفد الله الذين يفدون إليه وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في الف شهر.**»[١٦]

الهوامش:

١. الشيخ الصدوق، «فضائل الأشهر الثلاثة»، قم، الطبعة الاولى، ١٣٩٦ ق.، ص ٧٨.
٢. الشيخ الصدوق، «معاني الأخبار»، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٣ ق.، ص ٣١٥.
٣. الشيخ الصدوق، «فضائل الأشهر الثلاثة»، ص ٩٣.

٤. نفس المصدر، ص ١٤٣.
٥. نفس المصدر، ص ٩٠.
٦. سورة البقره، الآيتان ١٨٣-١٨٤.
٧. الشيخ الصدوق، «فضائل الأشهر الثلاثة»، ص ١٠٢.
٨. المجلسي، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج ٧٢، ص ١٨٨.
٩. الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج ٢، ص ٩٨.
١٠. الشيخ الصدوق، «فضائل الأشهر الثلاثة»، ص ٧٣.
١١. نفس المصدر.
١٢. نفس المصدر، ص ١٠٠.
١٣. نفس المصدر،ص ٧٥.
١٤. نفس المصدر،ص ٨٤.
١٥. نفس المصدر، ص ٧٤.
١٦. نفس المصدر،ص ١٢٣.

الوعد الحق

في شهادة أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام

منذ أن بزغ نور الإسلام ونور المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قرين الحق الذي لا يفارقه، فبلغ في بصيرته أرقى الدرجات، ووصل في يقينه إلى أعلى المقامات، ولكنه حُسد؛ إذ كل موهوب محسود كما قال هو عليه السلام.

ولم يقف الأمر عند الحسد، بل تفاقم حتى تحول إلى تفكير جاد باغتيال تلك الشخصية الإلهية المتفردة، وكان الباطل دائما يكيد بالحق، كما هو دأب الشر يكيد دوما بالخير، ويتحين الفرصة للغدر وللقتل؛ لأن عليا عليه السلام قد ملئ خيرا من قرنه إلى قدمه، ولأن الحق تجسد فيه حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علي مع الحق، والحق مع علي.**»، ودعا له، ودعوته بالغة مستجابة: «**اللهم أدر الحق معه حيث دار.**»[١]

وكأن الإمام عليا عليه السلام صار متبعا والحق تابع له، وكأنه عليه السلام صار أوضح من الحق، أو أنه أصبح هو الحق في أجلى مصاديقه، حتى إن الحق الذي يطلبه الناس لا بد لهم أن يعرفوه من خلال علي عليه السلام؛ لأن الحق أصبح - بدعوة نبوية مستجابة - يدور مع علي حيثما دار علي عليه السلام.

ومن هنا أخذ الباطل يجند أهله ويثير في دفائنهم كل حقد وحسد، وغل وثأر؛ ليكونوا جادين غير مترددين في اغتيال الحق الذي تجسد في الإمام علي عليه السلام وتمثل فيه. والإثارة لا بد منها، والحسد أحد المثيرات المؤثرة حتى تأتي الساعة المناسبة.

لما نزل قوله تعالى:

«**الم، أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُون**»،[٢] قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت: **يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟**

فقال صلى الله عليه وآله: «يا علي! إن أمتي سيفتتنون من بعدي.»

فقلت: «**يا رسول الله، أو ليس قلت لي يوم أحد: أبشر؛ فإن الشهادة من ورائك؟**»

فقال لي: «**إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا؟**»

فقلت: «**يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر.**»[٣]

وتستمر البشائر وافدة على الإمام علي عليه السلام أنه المظلوم بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأنه لم يكن ظالما يوما لأحد قط، حاشاه وألف حاشاه، وأنه لا بد يوما أن يغتال عاجلا أو آجلا، قصر الزمن به أم طال، ولكن: على أية حال، وكيف، وأين، ومتى؟

يروي **محمّد بن مسلم** - كما في تحفة المحبين - أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للإمام علي عليه السلام يوما: «**إن الأمة ستغدر بك من بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، وإن هذا-وأشار إلى وجهه-سيخضب من هذا-وأشار إلى رأسه.**»[٤]

وأية بشارة تلك؟! شرف الخاتمة بأفضل الميتات، وهي الشهادة على حسن العاقبة وعافية الإيمان وسلامة في الدين، فيزف رسول الله صلى الله عليه وآله البشرى البهيجة لأحب الناس إليه. إنه المقتول على سنته بعد حياة كريمة يقضيها على ملته، ولكن متى يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

يروي لنا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله خطب مستقبلا شهر رمضان، ذاكرا فضائل هذا الشهر، قائلا:

«**أيها الناس، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة....**»،

وبعد فقرات وعبارات من خطبته الشريفة قام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: «**يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟**»

فقال صلى الله عليه وآله: «**يا أبا الحسن! أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ.**»

وهنا ينفجر النبي صلى الله عليه وآله بالبكاء، فيسأله الإمام علي عليه السلام: «**يا رسول الله، ما يبكيك؟!**» فقال صلى الله عليه وآله ووجهه يتلألأ بالدموع، وصوته الحزين يصل إلى مسامع المسلمين في المسجد: «**يا علي!**

أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر. كأني بك وأنت تصلي لربك... وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك، فخضب منها لحيتك.»

وهنا كان للإمام علي عليه السلام سؤاله الأوحد: «**يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟**»

فقال صلى الله عليه وآله يبشره أيضا: «**في سلامة من دينك.**»[٥]

وتقترن البشارة بعرض الظلامة وبيان المأساة التي ستحل بأهل البيت النبوي عليهم السلام ثم بالمسلمين؛ إذ سيحرمون من ذلكم الوجود الإلهي الشريف على الأرض بعد أن كان فرصة عظمى لهم لأن يتنعموا بعلومه وحكمه وأنفاسه القدسية العابدة لله تبارك وتعالى.

وطالما قالها النبي صلى الله عليه وآله وسمعتها الآذان وتناقلها الناس، مخاطبا وصيه وخليفته في أمته: «**إن الأمة ستغدر بك بعدي.**»،[٦] «**أما إنك ستلقى بعدي جهدا.**»[٧]

وفي «حلية الأولياء» يروى مؤلفه **الحافظ أبو نعيم الإصفهاني** بسنده عن **أبي برزة** قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**إن الله تعالى عهد إلي عهدا في علي**»، فقلت: **يا رب، بينه لي.**

فقال: **اسمع.**

فقلت: **سمعت.**

فقال: **إن عليا راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين. من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، فبشره بذلك.**

فجاء علي (والحديث للنبي صلى الله عليه وآله) فبشرته، فقال: «يا رسول الله، أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنبي، وإن يتم لي الذي بشرتني به فالله أولى به.»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قلت: اللهم اجل قلبه، واجعل ربيعه الإيمان.**» **فقال الله: «قد فعلت به ذلك. ثم إنه رفع إلي أنه سيخصه من البلاء بشيء لم يخص به أحدا من أصحابي.»**

فقلت: يا رب! أخي وصاحبي!

فقال: إن هذا شيء قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به.»[٨]

وفي «تاريخ بغداد» للخطيب **البغدادي**، و«كنز العمال» للمتقي **الهندي**، عن علي عليه السلام قال:

«**بينا رسول الله** صلى الله عليه وآله **آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، فمررنا بحديقة، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنها من حديقة!**

قال صلى الله عليه وآله: «**لك في الجنة أحسن منها.**»

حتى مررنا بسبع حدائق، كل ذلك أقول: «ما أحسنها!» ويقول صلى الله عليه وآله: «**لك في الجنة أحسن منها.**»

فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهش باكيا، قلت: «يا رسول الله! ما يبكيك؟!»

قال صلى الله عليه وآله: «**ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي.**»

قلت: «يا رسول الله، في سلامة من ديني؟»

قال صلى الله عليه وآله: «**في سلامة من دينك.**»[٩]

وقالت **عائشة**: رأيت النبي صلى الله عليه وآله التزم عليا وقبله، و [هو] يقول: «**بأبي الوحيد الشهيد.**»[١٠]

كما نقل لنا **جابر بن سمرة** أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «**إنك مستخلف مقتول، وإن هذه مخضوبة من هذا.**»، أي لحيتك مخضوبة من رأسك.[١١]

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على يقين مما سيجري عليه، وقد فوض أمره إلى بارئه، ولم يتجاوز حدود الله تعالى، فكم رووا أنه عليه السلام قرأ لـ**ابن ملجم عبد الرحمان المرادي** هذا البيت:

أريد حياته ويريد قتلي

عذيرك من خليلك من مرادي[١٢]

وقد سمعه الناس يقول مشيرا إليه: «**أما إن هذا قاتلي.**»

فقالوا له: **فما يمنعك منه؟ أي من معاقبته.**

قال عليه السلام: «**إنه لم يقتلني بعد.**»

أجل، لم يتجاوز فيقيم حدا أو قصاصا قبل الجناية.

وكان عليه السلام يعلم بمنيته التي اختارها الله تعالى له؛ في أشرف البقاع: «المسجد»، وفي أشرف الشهور: «شهر رمضان»، وفي أشرف الليالي: «ليلة القدر»، وفي أشرف الحالات: «السجود». وقد اشتهر الحديث الشريف: «**أقرب ما يكون العبد من الله (عز وجل) وهو ساجد.**»[١٣]

وقد حلت تلك الليلة التي وعد بها، فأكثر عليه السلام الخروج والنظر إلى السماء، هكذا يذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة مضيفا: فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها، جعل يقول: «**والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت.**» فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها.[١٤]

وقد تقدم للشهادة مرات وكرات، وتمناها خاتمة طيبة حتى أراح خاطره الشريف رسول الله صلى الله عليه وآله وبشره بها، فإذا تقدم لها في موعدها الحق قال عليه السلام متوجها بروحه القدسية إلى الله تبارك وتعالى:

«**اللهم بارك لنا في الموت. اللهم بارك لنا في لقائك.**»

فإذا هبط السيف الظالم على رأسه الشريف صاح: «**فزت ورب الكعبة.**»

لكن جبرئيل عليه السلام هتف مرهوبا بين الأرض والسماء: **تهدمت والله أركان الهدى!**

فسلام عليك يا أمير المؤمنين، يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا.

الهوامش:

١. «صحيح الترمذي»، ج ٢، ص ٢٩٨؛ «التفسير الكبير للفخر الرازي»، في تفسير البسملة.
٢. سورة العنكبوت، الآيتان ١-٢.
٣. «نهج البلاغة للصبحي صالح»، ص ٢٢٠، خطبة ١٥٦.
٤. انظر «مستدرك الحاكم»، ج ٣، ص ١٤٢.
٥. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ ق.، ج ١، ص ٢٩٧.
٦. «مستدرك الصحيحين»، ج ٣، ص ١٤٢.
٧. «مستدرك الصحيحين»، ج ٣، ص ١٤٠.
٨. «حلية الأولياء»، ج ١، ص ٦٦.
٩. الخطيب البغدادي، «تاريخ بغداد»، ج ١٢، ص ٣٩٨؛ المتقى الهندي، «كنز العمال»، ج ٦، ص ٤٠٨.
١٠. الهيثمي، «مجمع الزوائد»، ج ٩، ص ١٣٧.
١١. «كنز العمال»، ج ٦، ص ٣٩٨.
١٢. «طبقات ابن سعد»، القسم الأول، ج ٣، ص ٢٢؛ ابن عبدالبر، «الاستيعاب» ج ٢، ص ٤٧٠.
١٣. الكليني، «الكافي»، طهران، الاسلامية، الطبعة الرابعة، ج ٣، ص ٢٦٥.
١٤. «الصواعق المحرقة»، ص ٨٠.

توهم المستحيل

اذا كان المقصود من التغيير والتبديل في القضاء والقدر غير الحتميين من الجانب الالهي هو أن العلم والإرادة الإلهية توجب شيئا ثم يقوم عامل آخر مستقل لم ينشأ من القضاء والقدر بايجاده بالشكل المخالف للمشيئة والإرادة والعلم الإلهي، أو يقوم ذلك العامل المستقل الخارجي بتبديل العلم والمشيئة الإلهية فان هذا محال.

وكذلك من زاوية العلية العامة اذا كان المقصود أن العلية العامة توجب شيئا ثم يوجد عامل في قبال هذه العلية يمنعها من التأثير فهذا محال أيضا. ذلك أن كل العوامل في الوجود تنشأ من علم الله وإرادته، وأن كل عامل يبدو في العالم ماهو إلا مظهر لعلم الله وإرادته، وآلة لتنفيذ قضائه وقدره. وكذلك فإن كل عامل ناخذه بعين الاعتبار هو محكوم بقانون العلية مظهر من مظاهره. ولا معنى لتصور قيام عامل ليس مظهرا لتجلي الإرادة الإلهية وآلة لتنفيذ قضائها وقدرها، أو تصور عامل خارج عن قانون العلمية ومقابل في التأثير له.

فالتغيير والتبديل في المصير بمعنى قيام عامل في قبال القضاء والقدر أو في قانون العلية، أمر محال.

الحقيقة الممكنة

اما تغيير المصير بمعنى أن يكون سبب التغير هو بنفسه من مظاهر القضاء والقدر وحلقة من حلقات الحلية، أي تغيير المصير بموجب المصير وتبديل القضاء والقدر بحكم القضاء والقدر، فرغم أنه أمر يبدو غريبا ومشكلا إلا أنه حقيقة واقعة.

والأعجب منه ما لو ركزنا النظر على القضاء والقدر من الوجهة الإلهية. لأن تغيير القضاء والقدر من هذه الوجهة يلبس لبوس التغيير في العالم العلوي والألواح والكتب الملكوتية والعلم الإلهي؛ وهل يمكن التغيير في العلم الإلهي؟! ويصل العجب أقصاه عندما نتصور الحوادث الدانية وخصوصا الإرادة والأفعال الانسانية مسببة لتغييرات، ومحو وإثبات في العالم العلوي وبعض الألواح التقديرية والكتب الملكوتية.

أليس النظام السفلي والعيني ناشئا من النظام العلوي والعلمي ومنبعثا منه؟ أليس العالم السفلي دانيا والعالم العلوي عاليا؟ أليس عالم الناسوت محكوما لعالم الملكوت؟ وهل من الممكن أحيانا في قبال ذلك أن يترك النظام السلفي – أو على الأقل قسم منه في العالم الانساني – آثاره في النظام العلوي والعلمي ويسبب تغييرات معينة فيه، ولو كانت هذه التغييرات نفسها بموجب القضاء والقدر؟ وهنا تتابع الأسئلة العجيبة وتبرز على ساحة الفكر... فهل أن علم لله يقبل التغيير؟! او يقبل حكم الله النقض؟! وهل يمكن للداني أن يؤثر في العالي؟!

والجواب على كل هذه الأسئلة هو بالإيجاب: نعم، ان علم الله قابل للتغير بمعنى أن لله علما يقبل التغيير، وأن حكم الله قابل للنقض بمعنى أن لله أحكاما قابلة للنقض، وأن الداني يمكنه أن يؤثر في العالي، وأن النظام السفلي وخصوصا الإرادة والعمل الانساني بل الإرادة الانسانية لاغير، يمكنها أن تهز العالم العلوي وتسبب تغييرات فيه، ويمثل هذه نسمى سلطة للانسان على مصيره.

نعترف بان ذلك أمر يبعث على العجب، ولكنه حقيقة،

وهذه المسألة الرائعة السامية مسألة «البداء» التي تحدث عنها «القران الكريم» لأول مرة في تاريخ المعرفة الانسانية فقال:

«يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»[1]

فليس لها نظير في كل التصورات والمبادىء العلمية الإنسانية ولانجد من بين الفرق الإسلامية سوى علماء من الشيعة الاثني عشرية وعلى أساس الإهتداء بهدي كلمات أهل البيت عليهم السلام، من استطاع الوصول الى هذه الحقيقة، فحازوا بذلك هذا الشرف والفخر.

ونحن هنا لا نستطيع الدخول في هذا البحث الفلسفي السامي بشكل مفصل وتوضيح الموضوع كما هو، وإنما نكتفي بالإشارة اليه مؤكدين أن للبداء أساسا قرآنيا، وأنه من أدق الحقائق الفلسفية، كما أنه لم يتوصل إلى عمق الموضوع من بين فلاسفة الشيعة سوى بعض من المتدبرين في القرآن و آثار القادة (النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام) وخصوصا ما جاء في كلمات امير المؤمنين علي عليه السلام.

ومن الطبيعي أنه يجب أن لا نقتنع بالتصور العامي الذي يفترضه البعض من عند أنفسهم ويسمونه البداء ومن ثم يقومون بالإعتراض على ما تصوروه وانتقاده.

وعلى أي حال نكتفي هنا ببحث مسألة انقسام القضاء والقدر، وقابلية تغيير المصير من زاوية الواقع العيني ومبدأ العلية العامة، والنظر في امكان أن يكون القضاء والقدر على نوعين: نوع محتم وآخر يقبل التغيير.

واذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن توضيحه؟ إن الموجودات على قسمين:

أ. مافيه إمكان نوع خاص من الوجود فقط كالمجردات العلوية.

باء. ما يمكن فيه أكثر من نوع من الوجود وهي الماديات، أي للموجودات التي توجد من مادة معينة وتشكل أرضية الموجودات أخرى. وهذا مثل جميع ما نحس ونلمس

فالمادة الطبيعية تقبل الصور المختلفة، وفيها استعداد للتكامل، فتؤثر فيها بعض العوامل طاقة وقوة، بينما تؤثر فيها العوامل الأخرى نقصانا وكمالا، فهي مستعدة لمواجهة مختلف العوامل، كما ويكون تأثرها بأحد العوامل وغير تأثرها بالآخر. فالبذرة لو صادفت المحيط الملائم، ولم تصبها آفة من آفات النبات، لنمت وبلغت كمالها، ولكنها عند فقدانها أحد العوامل الملائمة، أو اصابتها بآفة لن تستطيع النمو، وهكذا فللمادة الطبيعية آلاف الشروط وهي تتشكل بأشكال مختلفة وفقا لإختلاف هذه الشروط.

وهكذا نعرف أن الأمر في المجردات العلوية مختلف تماما عنه في الماديات. ففي الأولى يكون القضاء والقدر حتميين بمعنى أن مصيرها بيد علتها الوحيدة التي لايمكن أن تتبدل. أما في الماديات التي تقبل التغييرات والألوان، وتنطوي تحت قانون الحركة. فالقضاء والقدر غير حتميين، بمعنى أن نوع القضاء لايعين مصيرها، بل مصير أي معلول تابع لنوعية العلة ولأنها تتعامل مع علل مختلفة، كان لها مصائر مختلفة فيمكن لأية علة أن تحل محل الأخرى. وهكذا فلايمكن أن نصف القدر في الماديات بالحتمية بهذا المعنى بل كلما كانت الاحتمالات اكثر كانت أنواع المصير أكثر عددا.

فلعلة خاصة يمرض شخص فيوجد الألم، وبعلة الدواء تنتفي تلك العلة فيتغير المصير، ولو أعطى طبيبان نسختين إحداهما مضرة والأخرى نافعة، ففي انتظار المريض حالتان مختلفتان وبيده اختيار إحداهما، وهذا الاختيار مرتبط أيضاف بسلسلة من العمل بشكل لا يسلب الإنسان اختياره. بمعنى أنه رغم حصول انتخاب إحدى النسختين يكون بالتالي إمكان عدم انتخابها. وما يقال من الإمكان الإستعدادي لانتخاب النسخة الأخرى موجود محفوظ.

وعليه – فهناك أنواع متعددة من القضاء والقدر، وكل منها يمكن أن يحل محل الآخر، وحلول أحدها محل الآخر هو بحكم القضاء والقدر أيضا. وعلى هذا فلو إن مريضا شرب دواء ونجا فذلك بموجب القضاء والقدر، وإن لم يشرب الدواء وبقي متألما أو شرب دواء مضرا فمات، فذلك أيضا من القضاء والقدر، ولو أنه ابتعد عن بيئة المرض وبقي مصونا منه، فذلك أيضا بحكم القضاء والقدر. وبالتالي فكل ما يفعله ويبتلى به هو نوع من القضاء والقدر ولايمكنه أن يكون خارجا عن حوزة القضاء والقدر.

الهامش:

١. سورة الرعد، الآية ٣٩.

المصدر: الشهيد مرتضى المطهري، «الإنسان والقدر»، ترجمة محمد علي التسخيري، المشرق لثقافة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ق.، بالتلخيص.

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن

السؤال:

ما معنى الحديث القدسي وما الفرق بينه وبين القرآن وبينه وبين الحديث النبوي؟

الحديث القدسي

هو كلام يُسنده النبي صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى فهو من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وصياغته إلا أنّ معناه متلقّى عن الله جلّ وعلا بواسطة الوحي الأعم من الإلهام والقدح في القلب أو عن طريق الملك **جبرئيل** عليه السلام كان أو غيره أو عن طريق الرؤية في المنام، إذ أنّ رؤى الأنبياء وحي.

والتعبير عنه بالقدسي نشأ عن إرادة التعظيم والتكريم للحديث نظراً لانتساب معناه لله جلّ وعلا، فلأنّ القدس بمعنى الطهر والتنزّه عن كل نقص وعيب، ولأن معنى الحديث صادر عمّن هو منزّه عن كلّ نقص وهو الله تعالى لذلك ناسب أن تضاف كلمة القدس إلى الحديث الذي أسنده رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربّه جلّ وعلا فهو القدّوس الواجد لكل صفات الكمال والجلال والمنزّه عن كل شوائب النقص ولوازمه.

وثمة رأي آخر في تفسير الحديث القدسي مفاده أنّ الحديث القدسي هو الكلام الذي يحكيه النبي صلى الله عليه وآله عن ربّه تعالى لفظاً ومعنى، بمعنى أنّ صياغة الحديث ومعناه كلّ منهما صادر عن الله تعالى فهو كالقرآن إلا أنّه لم يصدر عنه تعالى على وجه الإعجاز والتحدّي.[1]

القرآن الكريم

فهو كلام الله تعالى لفظاً ومعنى بلا ريب وقد صدر عنه تعالى على وجه التحدّي والإعجاز وهو مصون من كلّ تحريف ومنقول بالتواتر فهو قطعي الصدور عن الله تعالى.

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن من جهتين

الجهة الأولى

أنّ القرآن معجزة في لفظه ومعناه، وقد تحدّى الله تعالى به خلقه من الجنّ والأنس وأفاد بأنهم لن يتمكنوا من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وأما الحديث القدسي فليس كذلك فهو وإن كان معناه صادراً عن الله تعالى إلا أن ألفاظه كانت بصياغة الرسول صلى الله عليه وآله بناء على القول الأول أو أن ألفاظه من عند الله تعالى أيضاً إلا أنها لم تصدر عنه تعالى على وجه التحدّي والإعجاز.

الجهة الثانية

أنّ القرآن الكريم بتمام آياته وسوره قطعي الصدور عن الله عزّ وجلّ فقد وصل إلينا بأعلى درجات التواتر، وهو مصون من التحريف، وقد تكفّل الله تعالى بصيانته وحفظه من التحريف **«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»**[2]

وأما الحديث القدسي فغالبه من أخبار الآحاد فهو ظنّي الصدور، لذلك فثبوته يخضع لضوابط علم الرجال، فإن كان رجال سنده من الثقات كان معتبراً وإلا فهو ساقط عن الاعتبار والحجيّة.

إذن فشأن الحديث النبوي لا تثبت له الحجيّة ما لم يكن سنده صحيحاً أو موثّقاً أو حسناً أو يكون محتّفاً بقرائن علميّة تقتضي الاطمئنان أو الوثوق بصدوره.

الجهة الثالثة

أنّ للقرآن الكريم خصائص ليست للحديث القدسي.

فمن خصائص القرآن الكريم أنه متكوّن من سور وانّ كل سورة مشتملة على مجموعة من الآيات، وأما الحديث القدسي فليس كذلك.

ومن خصائصه أنّه لا يجوز مسُّه إلا على طهارة من الحدث الأكبر والأصغر.

ومن خصائصه أنّ الله تعالى تعبّدنا بتلاوته وأوجب علينا قراءة بعض آياته في الصلاة، وأما الحديث القدسي فليس كذلك ولا يصحّ للمكلف أن يقرأه بدلاً عن القرآن في الصلاة.

الحديث النبوي

فهو الكلام الصادر عن الرسول الكريمﷺ ولم يشتمل على إسنادٍ لله جلّ وعلا، وكلام النبيﷺ وان كان وحياً يوحى إليه من الله تعالى، إلا انّ الفرق بينه وبين الحديث القدسي أن الحديث النبوي ليس مسنداً لله تعالى، وأما الحديث القدسي فهو مسند لله تعالى، فحينما يقول الرسولﷺ مثلاً قال الله تعالى «**الصوم لي وأنا أجزي به.**»[٣] فهذا حديث قدسي لأنّ النبيﷺ قد أسنده لله تعالى مباشرة.

وهكذا حينما يقولﷺ إنّ ربي قال لي: «**لم يسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.**»[٤] فذلك حديث قدسي لأنهﷺ أضاف الكلام لله تعالى.

وهكذا حينما يحكي الرسول عن الله تعالى فيقول مثلاً:

«**إنّ الجليل جلّ وعلا قال لي: «لأدخلنّ الجنة من أطاعني ولو كان عبداً حبشيّاً ولأُدخلنّ النار من عصاني ولو كان سيداً قرشيّاً.**»[٥]

والجدير بالذكر أن غالب الأحاديث القدسية تكون من سنخ الوعظ والإرشاد، وقد تشتمل على بيان بعض المسائل الإعتقادية ونادراً ما تتصدى لبيان الأحكام الشرعية، وأما الحديث النبوي فهو أوسع من ذلك فهو يشمل تبيان معاني القرآن وقصص الأنبياء والوعظ والإرشاد وبيان الأحكام الشرعية التفصيلية بالإضافة إلى المسائل الاعتقادية والأدعية والمناجاة والإخبار ببعض المغيّبات والإخبار عن مقامات بعض الرجال والنساء مضافاً إلى بيان الآداب والسنن وغير ذلك.

لِمَ لَمْ ترد الأحاديث القدسية في القرآن؟

إن ما تفضل النبيﷺ والائمةعليهم السلام في بيان الدين وتفسير القرآن، كله كان وحيا نزل على النبي الذي نقله إلى الأئمة، وكله قدسي والهي. لكنه نقل في البيان بطريقتين. فقد بين الرسول الأكرمﷺ الدين والمعارف و... من دون أن ينسب كلامه وبيانه مباشرة إلى الله تعالى، تارة، إذ أن معظم الأحاديث هي هكذا، وينقل تارة أخرى الاحاديث و... في هيئة كلام الله. وسميت هذه الأحاديث الثانية، بالأحاديث القدسية، ولا فرق بينها وبين الأحاديث الاخرى، سوى في نوعية البيان الذي يسند مباشرة إلى الله سبحانه وتعالى. لذلك فان القرآن، قد قال أن عليكم أن ترجعوا إلى القرآن ببيان النبي وتفسيره، وأن الأحاديث سواء القدسية منها وغير القدسية، هي بيان وتفسير للقرآن الذي أخذه النبي من السماء وعن طريق الوحي، وأبلغه إيانا، وأننا معرضون للفهم الخاطئ للقرآن من دون الرجوع إلى تفسير النبي وبيانه للقرآن. ونتخلص من الفهم السئ من خلال الرجوع إلى رسول اللهﷺ.

إننا بحاجة إلى كلام النبي وبيانه[٦]، واللذان وصلنا إلينا في هيئة أحاديث أكانت قدسية أم غير قدسية، وأن تسمية «القدسي» تأتي فقط لتوضيح نوع البيان، وإلا فانها لا تختلف عن الروايات الاخرى.

وعليه فان القرآن هو بيان كل شئ. لكن بما أننا عاجزون عن درك كل شئ من القران، لذلك فان النبيﷺ يعلمنا القرآن بواسطة أحاديثه وكلامه وتعاليمه التي هي كلها قدسية ونزلت من جانب الله تعالى، وإن أراد الله أن ينزل كل هذا الشرح والتفصيل كوحي قرآني، لكان القرآن يصبح مطولا كثيرا، ولما كان يحظى بتلك القوة والمتانة والجمالية والجذابية الخارقة.

الهوامش:

١. «مشرق الشمسين»، البهائي العاملي، ص ٢٢٩؛ «قوانين الأصول»، الميرزا القمي، ص ٤٠٩.
٢. سورة فصلت، الآية ٤٢.
٣. «من لا يحضره الفقيه»، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٧٥.
٤. «بحار الأنوار»، العلامة المجلسي، ج ٥٥، ص ٣٩.
٥. المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٣٩؛ «الصحيفة السجادية»، (ابطحي)، الإمام زين العابدينعليه السلام، ص ١٧٧.
٦. سورة النحل، الآيه ٤٤.

المصدر: من كتاب شؤون قرآنية، الشيخ محمد صنقور:
www.hodaalquran.com

كفنها من الجنة

لما اشتد مرضهاعليها السلام قالت:

«يا رسول الله اسمع وصاياي: أولا: إني قاصرة في حقك فاعفني يا رسول الله.»

قالﷺ: «**حاشا وكلا، ما رأيت منكِ تقصيرا، فقد بلغتِ بجهدك، وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت أموالكِ وصرفت في سبيل الله مالكِ.**»

– ثانيا: أوصيك بهذه – وأشارت إلى فاطمةعليها السلام **– فإنها يتيمة غريبة من بعدي، فلا يؤذينها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدها، ولا يصيحن في وجهها، ولا يرينها مكروها.**

ثالثا: إني خائفة من القبر، أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفنني فيه.

«يا رسول الله، إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمد إن كفن خديجة من عندنا، فإنها بذلت مالها في سبيلنا.»

فجاء جبرائيلعليه السلام بكفن وقال: «**يا رسول الله، هذا كفن خديجة، وهو من أكفان الجنة أهداه الله إليها.**»

فكفنها رسول اللهﷺ بردائه الشريف أولا، وبما جاء به جبرائيل ثانيا، فكان لها كفنان:

كفن من الله، وكفن من رسوله...

المصدر: «شجرة طوبى»، ج ٢، ص ٢٣٤.

فقام النبيﷺ وسلم الرداء إليها، فسرت به سرورا عظيما.

فلما توفيت خديجةعليها السلام أخذ رسول اللهﷺ في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرائيلعليه السلام وقال:

إيمان أبي طالب عليه السلام

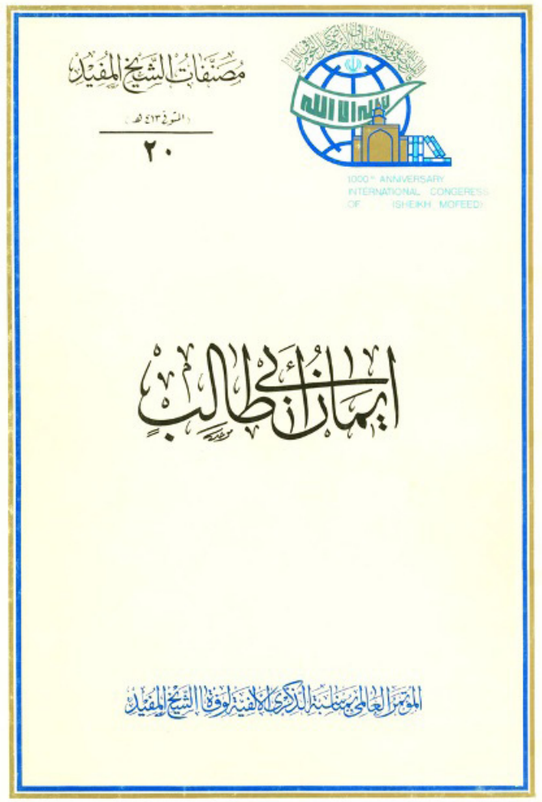

«إيمان أبي طالب عليه السلام» للشيخ **المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان** رحمه الله هو أقدم المصادر التي وصلت للباحثين في موضوعه، يقول مؤلف الكتاب في مقدمته:

... فإنني مثبت بتوفيق الله عز وجل، وما يهب من التسديد، طرفا من المقال... من الدلائل على إيمان أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف(عع)، المقتضبة من مقاله وفعاله، التي لا يمكن دفعها إلا بالعناد، وإن كنت قد أشبعت الكلام في هذا الباب في مواضع من كتبي المصنفات، وأمالي المشهورات، ليكون ما يحصل به الرسم في هذا المختصر تذكارا، ولما أخبرت عنه بيانا، وفي الغرض الملتمس منه كافيا، وبالله أستعين.

ثم يسوق الشيخ المفيد الأدلة على إيمان المولى أبي طالب تحت عناوين:

١. ما اشتهر عنه من الولاية والمحبة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. حزن النبي صلى الله عليه وآله وألمه لموت عمه، وأمره عليا عليه السلام بتغسيله وتكفينه وتحنيطه، ثم دعاؤه صلى الله عليه وآله له بالخيرات، وقوله بحقه: «**أما والله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين.**»

٣. أشعاره الكثيرة الدالة على توحيده وتصديقه بنبوة النبي صلى الله عليه وآله.

ففي العنوان الأول يستشهد قدس سره بما فعله أبو طالب عليه السلام مع زعماء قريش حين بلغه أن أحد سفهائهم قد آذى النبي صلى الله عليه وآله بوضع سلى الناقة على ظهره وهو يصلي، فما كان منه إلا أن ألزم القوم جميعا بالتعرض لما أصاب النبي صلى الله عليه وآله، آمرا عبيده بإمرار السلى على رؤوسهم.

ثم يذكر موقفه المشابه حينما فقد النبي صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء، فقد جمع ولده ومواليه، وسلم إلى كل رجل منهم مدية، وأمرهم أن يباكروا الكعبة، فيجلس كل رجل منهم إلى جانب رجل من قريش ممن كان يجلس بفناء الكعبة، فإن أصبح ولم يعرف للنبي صلى الله عليه وآله خبرا أو سمع فيه سوءا، أومأ إليهم بقتل القوم.

يقول الشيخ المفيد تعليقا على هذين الموقفين: **ولم تزل قريش بعد ذلك خائفة من أبي طالب، مشفقة على أنفسها من أذى يلحق النبي صلى الله عليه وآله، وهذا هو النصر الحقيقي؛ نابع عن صدق في الولاية، وبه ثبتت النبوة، وتمكن النبي صلى الله عليه وآله من أداء الرسالة، ولولاه ما قامت الدعوة.**

وفي العنوان الثاني، الدعاء له وتولي أمير المؤمنين عليه السلام تجهيزه- يرى الشيخ أن في واقعة تكليف النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بتجهيز والده، دليلين على إيمان أبي طالب، أحدهما: **أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بغسله وتكفينه دون الحاضرين من أولاده، إذ كان من حضره منهم سوى أمير المؤمنين إذ ذاك على الجاهلية، لأن جعفرا رضي الله عنه كان يومئذ ببلاد الحبشة، وكان عقيل وطالب حاضرين، وهما يومئذ على خلاف الإسلام، وأمير المؤمنين عليه السلام مؤمن بالله تعالى ورسوله، فخص المؤمن منهم بولاية أمره، وجعله أحق به منهما، لإيمانه ووفاقه إياه في دينه...**

والدليل الآخر -يقول الشيخ-: **دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالخيرات، ووعده أمته فيه بالشفاعة إلى الله، وإتباعه بالثناء والحمد والدعاء، وهذه هي الصلاة التي كانت مكتوبة إذ ذاك على أموات أهل الإسلام، ولو كان أبو طالب مات كافرا لما وسع رسول الله صلى الله عليه وآله الثناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير، بل كان يجب عليه اجتنابه.**

أما العنوان الثالث، فقد أورد الشيخ المفيد نبذا من أشعار أبي طالب الدالة على توحيده الله تعالى، وتصديقه بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وإيمانه برسالته.

من ظن ضوء النهار الظلاما

قال **ابن أبي الحديد** في «شرح نهج البلاغة»:

.. صنف بعض الطالبيين في هذا العصر كتابا في إسلام أبى طالب، وبعثه إلي، وسألني أن أكتب عليه بخطي نظما أو نثرا، أشهد فيه بصحة ذلك، وبوثاقة الأدلة عليه، فتحرجت أن أحكم بذلك حكما قاطعا، لما عندي من التوقف فيه، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبى طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

ولولا أبو طالب وابنه
لما مثل الدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى
وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر
وأودى، فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعد ما
قضى ما قضاه، وأبقى شماما
فلله ذا فاتحا للهدى
ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبى طالب
جهول لغا، أو بصير تعامى
كما لا يضر إياة الصباح
من ظن ضوء النهار الظلاما.

... فوفيته حقه من التعظيم والإجلال، ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة.

ومن الواضح أن ابن أبي الحديد عبر عن حقيقة رأيه، دون أن يعرض نفسه للمساءلة، أو يشيط بدمه.

المصدر: شبكة السرائر www.saraer.org

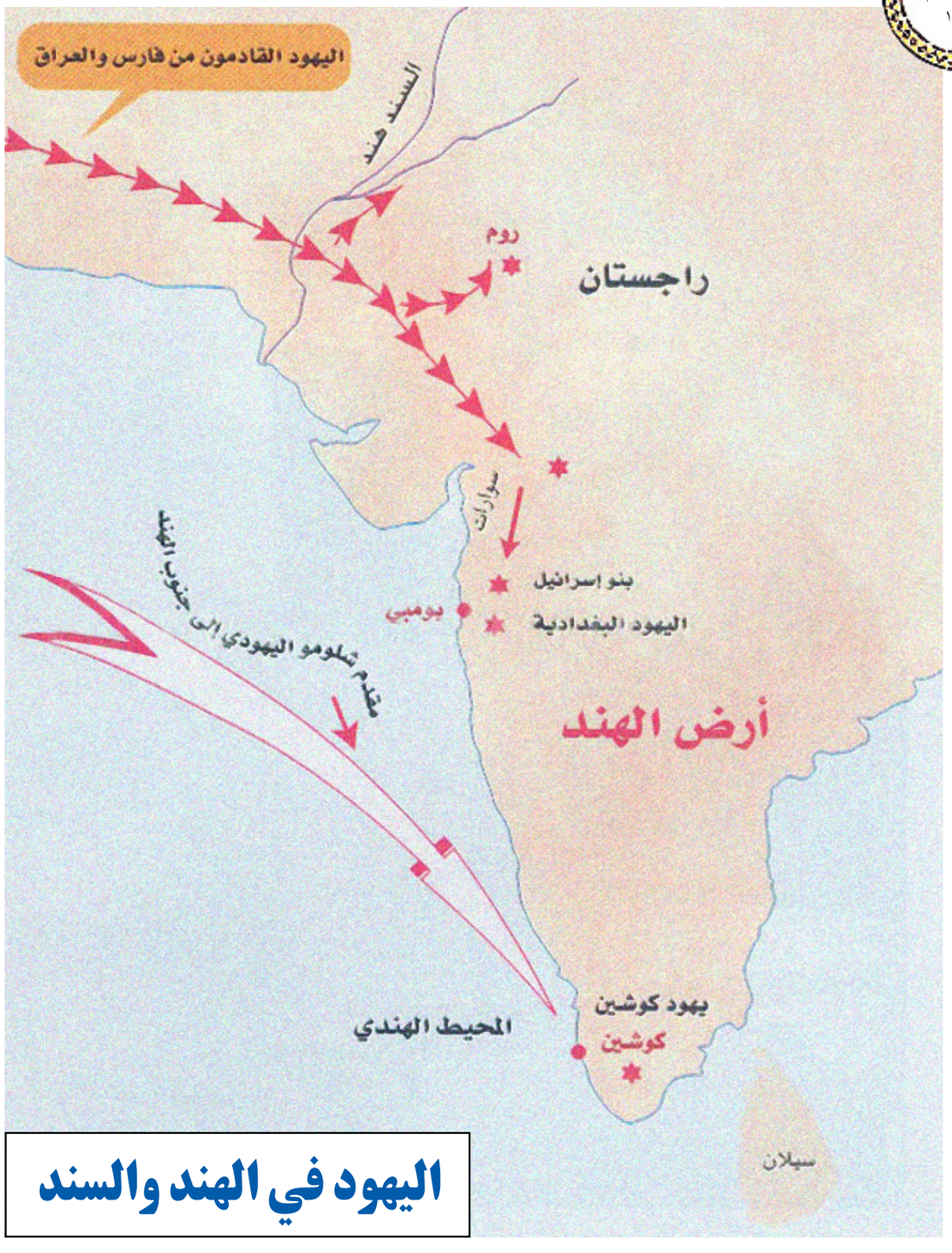

اليهود في الهند والسند

في إطار بحث الدولة الصهيونية المستميت عن يهود أو شبه يهود أو من يدعون اليهودية في أي مكان من العالم من أجل حل المشكلة الاستيطانية المتفاقمة فيها، تُبذل جهود كبيرة في الوقت الراهن لتهجير جماعة من يهود «الهند»، يطلق عليها اسم «يهود مانيبور» تمهيداً لتوطينها في المستوطنات المنتشرة على الأرض الفلسطينية. ويزعم أفراد هذه الجماعة أن أصولهم تعود إلى أحد الأسباط أو القبائل العبرانية القديمة، وهو سبط **منشه**، وأنهم استوطنوا في بادئ الأمر في مدينة «كايفنج» في «الصين»، ثم رحلوا عنها منذ ثماني مئة عام هربا من الغزو المغولي، وأستوطنوا الكهوف في الهند الصينية وانتهى بهم المطاف إلى منطقة «مانيبور»، على حدود الهند مع «ميانمار» (بورما) في القرن الثالث عشر.

وتشير الموسوعات اليهودية إلى أن أفراد هذه الجماعة نسوا تراثهم اليهودي، أو انصرفوا عنه، وأنهم لا يمارسون معظم الشعائر الدينية اليهودية، مثل الختان، ولا يعرفون «التلمود»، ولا علاقة لهم بـ«التوراة»، شأنهم في ذلك شأن «يهود كايفنج». ولكن من المفارقات أنهم اكتشفوا التوراة مجددة من خلال البعثات التبشيرية المسيحية، فبدؤوا يمارسون الشعائر المسيحية واليهودية جنباً إلى جنب مع بعض العبادات الوثنية السائدة في المنطقة. ولهذا السبب، تذهب الجماعات اليهودية الأخرى في الهند إلى القول إنّ يهود مانيبور ليسوا يهواً على الإطلاق. وتذكر الموسوعات اليهودية أن عدد هذه الجماعة لا يزيد عن بضع مئات، بل وذكر أحد المصادر أن عددهم لا يتجاوز مئة.

هذه هي الحقائق التي ترجمت الموسوعات على ذكرها قبل أن تبدأ الدولة الصهيونية مساعيها لتهجير أفراد تلك الجماعة. أما في الوقت الراهن، فإن الصحف الإسرائيلية تحاول تقديم صورة مغايرة تماماً لتاريخ هذه الجماعة ووضعها الحالي متجاهلة عن عمد ما في هذه المحاولة من تزييف للواقع. ولِم لا والمشروع الصهيوني برمته هو في جوهره محاولة لتزييف حقائق التاريخ والجغرافية واختلاق واقع استيطاني إحلالي جديد. فعلى سبيل المثال، كتب **رامي حازوت** و**حاييم شيفي** مقالا بعنوان «البحث عن السبط المفقود»،[1] زعما فيها أن عدد يهود مانيبور هو ستة آلاف، دون أن يوضحا المصادر التي استندا إليها للوصول إلى هذه النتيجة، ودون أن يوضحا بطبيعة الحال كيف قفز العدد بهذه السرعة خلال سنوات معدودة. وربما كان التفسير الوحيد للتزايد الغامض، هذا إن كان قد حدث فعلاً تزايد، هو أن عدداً كبيراً من سكان مانيبور قد ادعوا أنهم يهود أملا في الحصول على بعض المغانم الاقتصادية والاجتماعية. وقد توجه وفد إسرائيلي، يضم عددا من الحاخامات، إلى الهند للتعرف على أحوال اليهود مانيبور وحثهم على الهجرة إلى الدولة الصهيونية، وعاد أحدهم ليؤكد أن لدى هذه الجماعية ما بين عشرين إلى ثلاثين معبداً صغيراً، وهو عدد كبير لا يتناسب مع عدد الجماعة حتى لو صح أنه ستة آلاف، وأن أفرادها يتوجهون إليها لأداء الصلاة في أيام السبت، وفي الأعياد، وأنهم يحرصون بشدة على تناول الطعام الحلال (الكاشير) وممارسة شعائر الختان. ويبدو أن الوفد تعمد أن يقدم صورة وردية عن الانتماء اليهودي لأفراد الجماعة حتى يتسنى تبرير المساعي الرامية إلى تهجيرهم والمبالغ الطائلة التي تُنفق لهذا الغرض. وقد كشفت **كوليت أفيطال**، رئيسة لجنة الهجرة والاستيعاب في الكنيست، عن وجه آخر لتلك المساعي عندما قالت إن الهدف من جلب أمثال هؤلاء ليس إنقاذهم بل توطينهم في التجمعات السكنية خلف الخط الأخضر، أي في المستوطنات الاستعمارية الإحلالية التي تبتلع مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية.

ومن جهة أخرى، تثير المؤسسة الدينية كثيراً من الشكوك حول حقيقة الأصول اليهودية لأفراد يهود مانيبور، إذ يقول بعض داخل الحاخامية الرئيسية إنه لا توجد أية مصادر، من قبيل كتب الأنساب، تثبت تاريخ أبناء هذا السبط. والملاحظ أن ادعاءات الرقد الإسرائيلي عن الطابع اليهودي لحياة أبناء هذه الجماعة تستند بالأساس إلى ما يقصه شيوخها من حكايات عن أنهم شاهدوا أجدادهم وهم يمارسون الشعائر اليهودية ويعيشون في إطار نمط يهودي، وهي حكايات لا تكفي للتدليل على هوية هذه الجماعة وتمسكها باليهودية، فلو كانت هذه الهوية لا تزال قوية ومتماسكة حقا، فما الداعي إلى البحث عن كتب الأنساب؟ ولماذا اللجوء إلى اجترار ذكريات الكهول؟

والواقع أنه لا يمكن فهم الدوافع الحقيقية وراء هذا السعي المحموم لجلب أمثال تلك الجماعات إلا على ضوء الأزمة السكانية المحتدمة التي تعانيها الدولة الصهيونية. فآلة القتل الإسرائيلية لا تكف عن الدوران، وهو الأمر الذي يتطلب مادة استيطانية جديدة على الدوام، كما أن أعداد اليهود الذين يفدون تتناقص بشكل كبير بالمقارنة مع من ينزحون إلى الخارج، فضلا عن التزايد المستمر في أعداد السكان الفلسطينيين مما يهدد بوجود أغلبية عربية في غضون سنوات قلائل. ولهذا كله، لا تجد الدولة الصهيونية سبيلاً إلا «فبركة» الانتماء اليهودي لمثل هذه الجماعات الثانوية في «بيرو» أو «غينية» أو الهند أو غيرها. وفي المقابل، لا يجد أبناء هذه الجماعات، الذين يعانون عادة من التهميش والضائقة الإقتصادية، ما يمنعهم من ادعاء اليهودية والهجرة إلى الدولة الصهيونية، خاصة وأن كل من «يُعاد تأهيله»، أو تحويده، يتقاضى نحو عشرين ألف دولار، بالإضافة إلى مزايا رعاية الأطفال التي يحصل عليها المستوطن.[2]

وقد تؤدي هجرة هذه الجماعات الهامشية إلى تخفيف من حدة المشكلة الاستيطانية، إلا إنها تخلق في الوقت نفسه مزيدا من المشاكل والأزمات، وفي مقدمتها تعميق التوتر بين المستوطنين من أصل شرقي والمستوطنين من أصل غربي، وهو توتر قديم قدم الدولة الصهيونية نفسها. فاليهود الغربيون هم الذين أسسوا الدولة، وهم الذين حاولوا تسويغ وجودها بأنها ستكون واحة للديموقراطية الغربية وقاعدة عسكرية متقدمة للحضارة الغربية وحاجزا للغرب في مواجهة ما أسموه «الهمجية الشرقية». ولكن ها هي جحافل الشرقيين تأتي مرة أخرى تحت رايات الحاخامات الأرثوذكس، الذين لا يرون حرجاً في التغاضي عن كثير من المعايير الصارمة لما يسمى «الهوية اليهودية»، حتى وصل عدد الشرفيين إلى أكثر من نصف سكان التجمع الصهيوني، وهو الأمر الذي ينتقص من مكانة اليهود الغربيين ومن المزايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي طالما تمتعوا بها.

وأمام وضع كهذا، فليس من المتوقع أن تؤدي هجرة «يهود مانيبور» وغيرهم إلّا إلى تفاقم الصراع بين الغربيين والشرقيين وبين المتدينين والعلمانيين، فضلا على أنها لا تقدم حلاً للمشكلة الأزلية في الدولة الصهيونية، ألا وهي تزايد الفلسطينيين كماً وكيفاً وإصراراً على المقاومة.

الهوامش:

١. «صحيفة يديعوت أحرونوت»، ١١ أغسطس / أب ٢٠٠٤م.
٢. «صحيفة الرأي»، ٢٢ سبتمبر / أيلول ٢٠٠٣م.

المصدر: د. عبدالوهاب المسيري، «الصهيونية وخيوط العنكبوت»، دمشق، دارالفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.، بالتلخيص.

السيدة خديجة الكبرى عليها السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.»[١]

يتم طيلة القرون المتمادية التعرف أحيانا على أناس، تبلغ عظمة وجودهم درجة يعجز فيها اللسان عن تبيان ووصف عظمة وقدر هؤلاء الأشخاص حتى، ومهما قيل في وصفهم، فان الأمر يبدو وكأنه بداية كتاب وجودهم، وماتزال صفحات كثيرة متبقية لتبان ومعرفة عظمة وجودهم. وبالأحرى، فهم مصداق هذا البيت من الشاعر **مولوي**:

كلما تحدثت عن العشق وشرحته وبينته

ما أن أصل إلى العشق، حتى أصبح خجلا منه

إن السيدة خديجة الكبرى سلام الله عليها، هي واحدة من هؤلاء الأشخاص الذين لم ندرك بعد عظمة وجودهم رغم ما قيل وكتب عنهم، ويعجز الكلام عن تبيان سمو روحهم ورفعة وجودهم. وعليه فاننا، استطعنا في هذا الكلام الموجز، تبيان قطرة من يم وجودها فحسب:

من هي السيدة خديجة الكبرى عليها السلام

هي سيدتنا خديجة بنت خويلد بن أسد تجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله في جده قصى الذى جمع القبائل القرشية. و أمها **فاطمة بنت زائدة** وقد حفظها الله تعالى من أرجاس الجاهلية، فأحاط عرض هذه السيدة الزكية و صانه من كل أذية و بلية برعايته و عنايته الباهرة و لذلك كانت تلقب **بالسيدة الطاهرة**.[٢]

و لقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفا، و أكثرهن مالا، و أحسنهن جمالا، و يقال لها: **سيدة قريش**، و كل قومها كان حريصا على الاقتران بها لو يقدر عليه.[٣] و قد خطبها عظماء قريش. لكن هى اختارت النبي صلى الله عليه وآله، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة العالية و لقرابته منها و أمانته وحسن خلقه و صدق حديثه.[٤]

مديرة ومدبرة في جميع ميادين الحياة

لقد كانت السيدة خديجة عليها السلام سواء قبل زواجها من نبي الاسلام الأكرم صلى الله عليه وآله أو بعده، مديرة ومدبرة بالكامل في جميع مراحل وسوح الحياة، وسخرت بعد الاسلام، جل هذه المواهب الإدارية في سبيل الدعوة للاسلام ورفد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بحيث كانت أحد أهم مساندي ومؤازري النبي محمد صلى الله عليه وآله. ونتطريق تاليا وباقتضاب إلى بعض خصائص وميزات إدارتها:

١. أسلوب أخلاقي لكسب المال

وكانت السيدة خديجة عليها السلام سيدة قوية تألقت بين العرب آنذاك في الاقتصاد والتجارة والإدارة، ونالت في هذا الطريق شهرة مناطقية وذاع صيتها عبر العالم.

وتصرفت في العمل والتجارة والإدارة على قاعدة تلك الرؤية والسجية المتينتين – والمتمثلة بنقاء الأسلوب وطهارة النفس وحسن التصرف والصدق والمناداة بالعدالة ومقارعة الظلم– ولم تكن مستعدة لجني الربح والمال باي ثمن وقيمة، بل كانت تسعى جاهدة على الدوام لتكون إدارتها الاقتصادية وتجارتها، بمنأى عن أي مخالفة اقتصادية ومنزهة من أي دنس ورجس مالي.[٥]

٢. مراعاة حقوق المأجورين وملاذ من لا ملاذ له

إن إحدى الخصائص الشخصية والإدارية للسيدة خديجة عليها السلام هي عطفها ومحبتها لا سيما تجاه المستضعفين والمأجورين والمرؤوسين. بحيث نقل عن نبي الاسلام المكرم صلى الله عليه وآله أنه عندما كان النبي صلى الله عليه وآله يمر بفترة الشباب، عمل ذات يوم مع أحد رفاقه من قبيلة قريش في التجارة نيابة عن السيدة خديجة عليها السلام في سوق تهامة، وأوعزت السيدة خديجة ومن دون تصميم مسبق، لتحضير طعام شهي وارساله للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصاحبه. وأعرب النبي صلى الله عليه وآله عن امتنانه للسيدة خديجة عليها السلام، لكل هذه الرعاية ولم ينس هذه الذكرى الطيبة فحسب، بل كان يتذكرها أحيانا ويقول:**«ما رأيت من صاحبه لأجير خيرا من خديجه ما كنّا نرجع انا وصاحبى الّا وجدنا عندها تحفه من طعام تخبأه لنا.»**[٦]

٣. إنفاق المال في سبيل الإسلام

لقد بلغت ثروة السيدة خديجة عليها السلام مقدارا بحيث كانت تلقب في عصر الجاهلية بـ«سيدة قريش». وقيل حول ثروتها أن وكلاءها كانوا يأخذون بثمانين ألف ناقة للتجارة إلى اليمن ومصر والشام و...، وكانت ثروتها تزداد يوما بعد يوم ويذيع صيتها أكثر فاكثر.[٧]

وقد جاء في مكان آخر: كانت خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث إلى الشّام فيكون عيرها كعامّة عير قريش.[٨]

وقيل أيضا أن أربعمائة خادم وجارية، كانوا يتولون رعاية شؤون حياتها وأمورها.[٩]

إن ذكر مقدار ثروة هذه السيدة الزكية جاء من أجل إظهار أن الثروة التي أنفقتها من أجل الاسلام، لم تكن ثروة شخص عادي، بل ثروة انتشر صيتها بين العرب آنذاك، بحيث أن وهب وصرف جميع هذه الثروة الهائلة في سبيل الاسلام، لم يكن بالشئ الذي يقدم عليه أي أحد، ورغم كل هذه الثروة، فانها كانت متواضعة للغاية، ولم تتحول ثروتها إلى سبب للتبختر والزهو والتكبر والإختيال.

إن المساعدات المالية تلعب دورا أساسيا إبان الثورة والإضطهاد، وإن لم تكن المساعدات المالية للسيدة خديجة عليها السلام في بداية الثورة النبوية، لكان مسار تكامل الثورة النبوية يختل ويمس منذ بداياته.

إن الإسناد المالي الذي قدمته السيدة خديجة عليها السلام للثورة النبوية، لم يقتصر على الدعم المباشر، بل أن مساعداتها المالية غير المباشرة، إبان الحصار القاسي الذي فرضته قريش، ساهم في الحد من إحداث خلل في مسار الثورة النبوية. وبذلك، فان هذه السيدة استفادت خلال عصر الحصار العصيب في شعب ابي طالب، من علاقاتها مع كبار التجار الشهيرين واستطاعت تقديم مساعدات مهمة للنبي صلى الله عليه وآله. المصدر السابق.

وأنفقت السيدة خديجة طيلة فترة الحصار، كل ثروتها ومالها لدعم المحاصرين ورسول الله صلى الله عليه وآله. لذلك فان دعمها الاقتصادي، شكل في الحقيقة مفتاحا للمقاومة وكسر هذا الحصار، بحيث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: أن أي ثروة لم تنفعه بقدر ما نفعته ثروة خديجة. وقد اشترى النبي صلى الله عليه وآله باموال خديجة، العبيد الذين كانوا يتعرضون للتعذيب وخلص المدينين من عبء ديونهم التي بذمتهم. وكان يساعد المحرومين والفقراء، ويمد المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وصادر المشركون أموالهم، بأموال خديجة عليها السلام لكي يوصلوا بانفسهم إلى المدينة.[١٠]

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بشأن تضحيات هذه السيدة الكريمة: **«ما قام و لا استقام دينى الّا بشيئين: مال خديجه و سيف علىّ بن ابى‌طالب.»**[١١]

٤. رعاية وتنشئة خليفة ووصي النبوة

وقد نشأ خليفة النبي صلى الله عليه وآله ووصيه، وترعرع بناء على المصلحة الالهية ومنذ طفولته، في بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعلى يد نبي الاسلام صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام. ومن هذه الرؤية، فان دور السيدة خديجة عليها السلام إبان الثورة النبوية، كان دورا رئيسيا، لان تنشئة خليفة قائد الثورة، يستحدث أثرا معمقا على المراحل المختلفة للثورة – الإيجاد والاستقرار والإستمرار – إن إهتمام السيدة خديجة عليها السلام وتربتها الصحيحة للامام علي عليه السلام، أسدى خدمة كبيرة وقيمة للثورة النبوية. التنشئة التي كانت حصيلتها "شخصية مسلمة وانسان متكامل من الطراز الانساني السامي والقدوة"، وأن كل هذه الأمور، مدينة لجهود ومساعي السيدة خديجة التي واكبت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تنشة وتربية الامام علي عليه السلام.[١٢]

٥. الشجاعة والشهامة

لقد كانت السيدة خديجة عليها السلام أسوة بارزة للشجاعة ورمزا للشهامة. وإن وقف النبي بوجه الظلامية والاستبداد والإستئثار، وغير من المسار المقيت للتاريخ، ودافع في مقابل تهديداتهم وتوعداتهم وترغيبهم وخدعهم المختلفة، عن الحرية وحقوق الانسان ببطولة، ولم يخش في الله لومة لائم، فان السيدة خديمة مضت قدما مواكبة وجنبا إلى جنب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على مر الزمن، واحتملت المصاعب والشدائد والآلام بشهامة وصمدت أيما صمود، وثبتت عند موقفها بشجاعة، وسخرت منذ تعرفها على النبي صلى الله عليه وآله حتى اعتناقها الاسلام، وفي ذروة ضغوط العدو وهمجيته، مالها ونفسها ومصداقيتها، ولم تتوان عن إسناد ودعم النهضة وزعيمها.[١٣]

وكانت مصداقا لهذه الآية الكريمة: «... **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**...»[١٤]

لقد كانت السيدة خديجة عليها السلام الوزير الصادق للاسلام والمستشار الحكيم والشجاع للنبي صلى الله عليه وآله، وتمكن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من تذليل المشاكل ودحر العقبات والحواجز بفضل مساعدات و مساندة السيدة خديجة عليها السلام له؛ **«وكانت خديجه وزيره صدق على الإسلام، و كان رسول الله يسكن اليها.»**[١٥]

٦. نقل الحديث

وكانت السيدة خديجة عليها السلام دائما في خدمة ذرية الرسالة عليهم السلام ومحرم أسرارهم، وكان لها ضلع في تبيان الحقائق والدعوة للاسلام، وجزء من النماذج البارزة والأسوات العالية. ووصف المرحوم استرابادي نائيني، الذي كان من أصحاب الرأي في علم الرجال ومعرفة الرواة، السيدة خديجة عليها السلام بانها كانت من السيدات الشهيرات اللواتي نقلن روايات عن نبي الاسلام صلى الله عليه وآله.[١٦] كما وصفها المرحوم محمد حائري بانها من رواة حديث النبي صلى الله عليه وآله.[١٧] كما اعتبرها **المقدس الاردبيلي**

و**ابن حزم الاندلسي** و**البيهقي** (من كتاب الحديث من اهل السنة) بانها كانت من رواة الحديث.[١٨]

وفاة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام

وقد رحلت السيدة خديجة عليها السلام عن هذه الدنيا الفانية في السنة العاشرة من البعثة، بعد سنوات من الإيثار والتضحية والفداء من أجل الاسلام وبعد تحمل المصاعب والشدائد والمشاق في شعب ابي طالب و ووريت الثرى في مقبرة حجون. وفي السنة ذاتها، فقد نبي الاسلام المكرم صلى الله عليه وآله واحدا اخر من حماته ألا وهو **ابوطالب** عليه السلام، وكان لهذين الحدثين وقعا هائلا عليه صلى الله عليه وآله بحيث سمى ذلك العام بـ«عام الحزن».[١٩]

الهوامش:

١. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج ٤، ص ١٨٢٢.
٢. «مناقب خديجة الكبرى»، محمد علوي المالكي، ج ١، ص ٦.
٣. «الصحيح من سيرة النبي الأعظم»، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٢، دار الحديث، ص ١٩١.
٤. «أسد الغابة»، ابن الأثير، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ج ١، ص ١٦.
٥. «خصائص أم المومنين خديجه الكبري عليها السلام»، ابن الأثير، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٤٥٥.
٦. «بحارالانوار»، محمّدباقر المجلسى، ج ١٦، صص ٩ و ١٠؛ «خصائص ام المومنين خديجه الكبري عليها السلام»، ص ٥٤٢.
٧. «منتهى الآمال»، الشيخ عباس القمى، مطبوعاتى حسينى، الطبعة الثامنة، طهران، ١٣٧٦ش.، ص ٦٠.
٨. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد، ج ٨، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٠هـ، ص ١٢.
٩. «خصائص ام المومنين خديجه الكبري عليها السلام»، ص٥٣٥.
10. https://www.mehrnews.com.
١١. «شجرة طوبى»، الشيخ محمد مهدى الحائري، ج ٢، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ ، ص ٢٣٣.
12. https://www.tasnimnews.com.
١٣. «خصائص ام المومنين خديجه الكبري عليها السلام»، ص ٢٤٧.
١٤. «سورة المائده، الآية ٥٠.
١٥. «بحارالأنوار»، محمّدباقر المجلسى، ج ١٦، ص ١١.
١٦. «الانوار السّاطعة من الغرّاء الطّاهرة»، غالب سيلاوى، ص ٣٢٩.
١٧. «منتهى المقال»، محمّد حائرى، ج ٧، ص ٤٦٤.
١٨. «الانوار السّاطعة من الغرّاء الطّاهرة»، ج ٧، ص ٣٣٠.
١٩. «منتهى الآمال»، ص ٦٥.

آل مورغان
وإمبراطورية المال الأمريكية

سافر **سبنسر مورغان** الأمريكي إلى «إنجلترا» في الخمسينيات من القرن التاسع عشر وتصادق مع مفكر أمريكي آخر اسمه **جورج بيبادى** الذي كان يعمل في التجارة مع **آل روتشيلد**، وتمت تجارتهما وحققت ثروة كبيرة، وأصبح **آل مورغان** على صلة وثيقة بآل روتشيلد البريطانيين حتى صار آل مورغان عملاء سريين لآل روتشيلد، وأصبحوا الجبهة الأمريكية لمصالح البارون البريطاني الروتشيلدى **ناثان مائير بن روتشيلد**، وأصبح آل مورغان أحد فروع آل روتشيلد في «الولايات المتحدة الأمريكية» والممثل المالي لهم. وشارك آل مورغان في الحرب الأهلية الأمريكية ببيع الأسلحة وكسبوا أموالا طائلة.

وأصبحت عائلة آل مورغان من أقوى البيوت المصرفية في العالم واستطاع **جون بى مورغان** كبير العائلة في عام ١٨٩٠م. إعادة تنظيم أكبر طرق أمريكا الحديدية وبحلول عام ١٩٠٢م.كان أقوى قطب سكك حديدية في العالم مسيطرا على طريق السكك الحديد البالغ طوله نحو خمسة آلاف ميل.

وساعد مورغان الحكومة الأمريكية عام ١٨٩٣م. من الخروج من المأزق المالي حيث دعم احتياطيات الحكومة بحوالي ٦٢ مليون دولار بذهب عائلة روتشيلد وفي عام ١٨٩٠م. أشرف على اندماج شركتى «ايديسون جنرال اليكتريك» و«تومسون هاوستون اليكتريك» لتشكلا معا شركة جنرال اليكتريك التي سيطرت على صناعة الأجهزة الكهربائية في أمريكا.

وقام مورغان بدمج عدة شركات لتصنيع الفولاذ، وفي عام ١٩٠٢م. خلق شركة «انترناشنال هارفستر» من عدة مصنعى معدات زراعيين متنافسين. وتشعبت الإمبراطورية المورغانية في الأعمال والمشاريع حتى سيطرت على صناعة المال الأمريكي حتى العصر الحالي. حتى إنها امتدت لتشمل مؤسسات معفية من الضرائب وانضم آل روكفلر إلى آل مورغان رغم أنهما قد تنافسا في مواقع كثيرة إلا أنهما عملا في النهاية معا.

ويقول الكاتب **غريفن**:

إنهما عملا في النهاية معا، ليخلقا اتحادا بنكيا وطنيا يدعى نظام الاحتياط الفيدرالي.

وقد تم رسم الخطة الأولية لنظام الاحتياطي الفيدرالي في اجتماع سري في ١٩١٠م. في منتجع مورغان الخاص في «جيكلي ايلاند» قرب ساحل «جورجيا».

آل روكفلر والمنظمات السرية

ارتبط اسم **جون دى روكفلر** بالمنظمات السرية، وعائلة روكفلر هي إحدى العائلات ذات النفوذ والقوة في أمريكا منذ القرن الماضي، حتى إن جريدة «تكساس» الريفية ذكرت في نشرتها عام ١٨٩٧م. أن جون دى روكفلر ينام كل يوم من العاشرة والنصف مساء ويستيقظ في السابعة صباحا ورغم ذلك تزداد ثروته في الصباح بمقدار ١٧,٧٠٥ دولارات خلال الثماني ساعات والنصف التي أخلد فيها إلى النوم!

ومع بداية الحرب الأهلية الأمريكية كان روكفلر سمسار سلع

زراعية صغيرة في «كليفلاند أوهايو»، ثم تحول إلى تجارة النفط وامتلك هو وشركاؤه مصفاة للنفط عام ١٨٦٣م.، ثم أنشأ شركة «ستاندرد أويل» في «أوهايو» عام ١٩٧٠م.

وحدت مساعدات عائلة روتشيلد أحد الأسباب الرئيسية في تنامى ثروات عائلة روكفلر حتى إن آل روكفلر احتكروا عملية نقل النفط وسيطروا على ٩٥٪ من النفط في أمريكا.[١]

وفي عام ١٨٨٢م. استطاع روكفلر أن ينشئ اتحادا احتكارا وهو مؤسسة «ستاندرد أويل ترست» في الولايات المتحدة، إلا أن محكمة أوهايو العليا أمرت بحل هذا الاتحاد الاحتكارى «Trust»، إلا أن روكفلر نقل مركز المؤسسة إلى «نيويورك» عام ١٨٩٩م. ثم سمى مؤسسته «ستاندرد أويل كومباني أف نبوجيرسي»، إلا إن المحكمة العليا للولايات تصدت لهذا الاتحاد الاحتكارى عام ١٩١١م. وأمرت بحله وجاء مع قرارها: **سبعة رجال وألة مؤسسة قد تآمروا ضد مواطنيهم ومن أجل سلامة الجمهورية نحن الآن نقرر أن هذه المؤامرة الخطيرة يجب أن تنتهي بحلول شهر نوفمبر.**[٢]

ولم تنته مؤامرات آل روكفلر فأنشأوا اتحادات احتكارية أخرى مع تغير أسمائها، فقد تشكلت ثماني شركات بعد قرار الحل الأخير، وأدى تفكيك الإتحاد عام ١٩١١م. إلى زيادة ثروة روكفلر، لأنه أصبح يمتلك حصة الربع من ثلاث وثلاثين شركة نفط ثم خلفها بواسطة تفكيك شركة «ستاندر أويل كومباني» وأصبح روكفلر بيلونير أمريكا الأول.

وفي دراسة للملكية الحقيقية في أكبر مؤسسات أمريكا تم عملها من قبل هيئة الضمان والمقايضة جاء فيها أن توزيع الملكية في ٢٠٠ أكبر مؤسسة غير مالية عام ١٩٤٠م.، أن ممتلكات روكفلر نحو ٢٠٪ من الأسهم الظاهرة.[٣]

وبعد موت روكفلر عام ١٩٣٧م. ترك إمبراطورية ضخمة، إمبراطورية النفط، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى مثل مؤسسة روكفلر للبحوث الطبية عام ١٩٠١م. وجامعة شيكاغو، ومؤسسة روكفلر وغيرها، واستمر آل روكفلر في سيطرتهم على سوق النفط وغيرها من الصناعات الأخرى بأمريكا ومن ثم السيطرة على القرار السياسي الأمريكي .

ترك روكفلر الأب أو جون دى روكفلر خمسة أبناء: **جون الثالث ونيلسون ولورنس وديفيد ونيشروب.**

تولى الابن الأكبر جون الثالث رئاسة مجموعة روكفلر الذي أنشأ العديد من وكالات الأنباء العالمية مثل «مركز الهند الدولي» و«البيت الدولي لليابان»، وأنشأ مجلس السكان والتخطيط العائلي، وتوفى جون الثالث في ١٩٥٨م. وورثه ابنه **جون جيه دافيدسون روكفلر** الذي انتخب حاكما لولاية «فرجينيا الغربية».

ونيلسون روكفلر الذي سافر قبل الحرب العالمية الثانية إلى «فينزويلا» واكتشف تراث جنوب أمريكا وسيطر على تجارة البترول وعين منسقاً لشؤون أمريكا الداخلية.

وعين حاكما لولاية نيويورك لفترات أربع، وفي عام ١٩٥٣م. عين نائب وزير وعينه **ايزنهاور** مساعدا خاصا للشؤون الخارجية، وحظى بالحصول على ترشيح رئاسي من قبل الحزب الجمهوري إلا أن خططه انتهت في هذا الأمر من قبل **نيكسون** عام ١٩٦٠-١٩٦٨م. إلا أنه عين نائبا لرئيس الجمهورية عام ١٩٧٤م. من قبل الرئيس **جيرالد فورد** الذي تولى رئاسة أمريكا بعد استقالة نيكسون، ومات نيلسون روكفلر وهو في السبعين من عمره في ظروف قيل إنها ظروف جدلية تتعلق بواحدة من مساعداته الوظيفيات!

نال الأخ الأصغر لروكفلر الأب وهو **ديفيد روكفلر** بعض الحظ والشهرة، بعد انتهاء دراسته في بريطانيا وعودته إلى أمريكا واشترك في الحرب العالمية الثانية ثم عين رئيسا لمجلس الأمناء في معهد روكفلر، وعمل في إدارة المصارف، ثم أصبح سفير أمريكا إلى محكمة **القديس جيمس** في «بريطانيا» ثم مساعد وزير الحرب في ١٩٤١م. والحاكم الأمريكي والمفوض عالي المستوى لـ«ألمانيا» من ١٩٤٩م. إلى ١٩٥٢م وانضم إلى مجلس العلاقات الخارجية عام ١٩٤١م. ثم نائب لرئيس المجلس عام ١٩٥٠م.

ووصل نفوذ ديفيد روكفلر السياسي إلى أن يكون أحد أهم الرجال السياسيين في أمريكا، ففي عام ١٩٧٦م. قابله الرئيس الاسترالي **مالكوم حين** زار أمريكا قبل مقابلته للرئيس الأمريكي نفسه رغم أن ديفيد روكفلر لم يكن قد انتخب أو عين في منصب حكومي رسمي وقتها، لكنه نفوذ آل روكفلر الواضح في أمريكا وسيطرتهم على اقتصاد أكبر دولة في العالم أعطتهم هذا الحق وهذا الاهتمام.

ومازال أحفاد آل روكفلر يتمتعون بالاهتمام القديم وسيطرة آبائهم على القرار السياسي والاقتصادي الأمريكي وبالتالي على السيطرة على العالم حتى الآن بشكل واضح، إنه حكم النخبة وليس حكم الجماهير وهذا ما قاله **توماس آر داى** و**آل هارمون زيكلر** في كتابهما «سخرية الديمقراطية»:

إن العيش في ديمقراطية في عصر اقتصادى علمى نووي إنما يتم تشكيله تماما كما في المجتمع التوتالى الاستبدادى الصارم – على يد حفنة من الرجال – وبالرغم من الاختلافات في أساليبهم فيما يتعلق بدراسة القوة والسلطان في أمريكا، فإنّ الطلاب والعلماء والإجتماعيين على السواء يتفقون على أن مفتاح القرارات السياسية والاقتصادية والإجتماعية إنّما هو بيد الأقلية القليلة.

الهوامش:

١. «الحكم بالسر»، جيم مارس.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.

المصدر: منصور عبدالحكيم، «من يحكم العالم سرّاً؟ أصابع خفية تقود العالم»، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.، بالتلخيص.

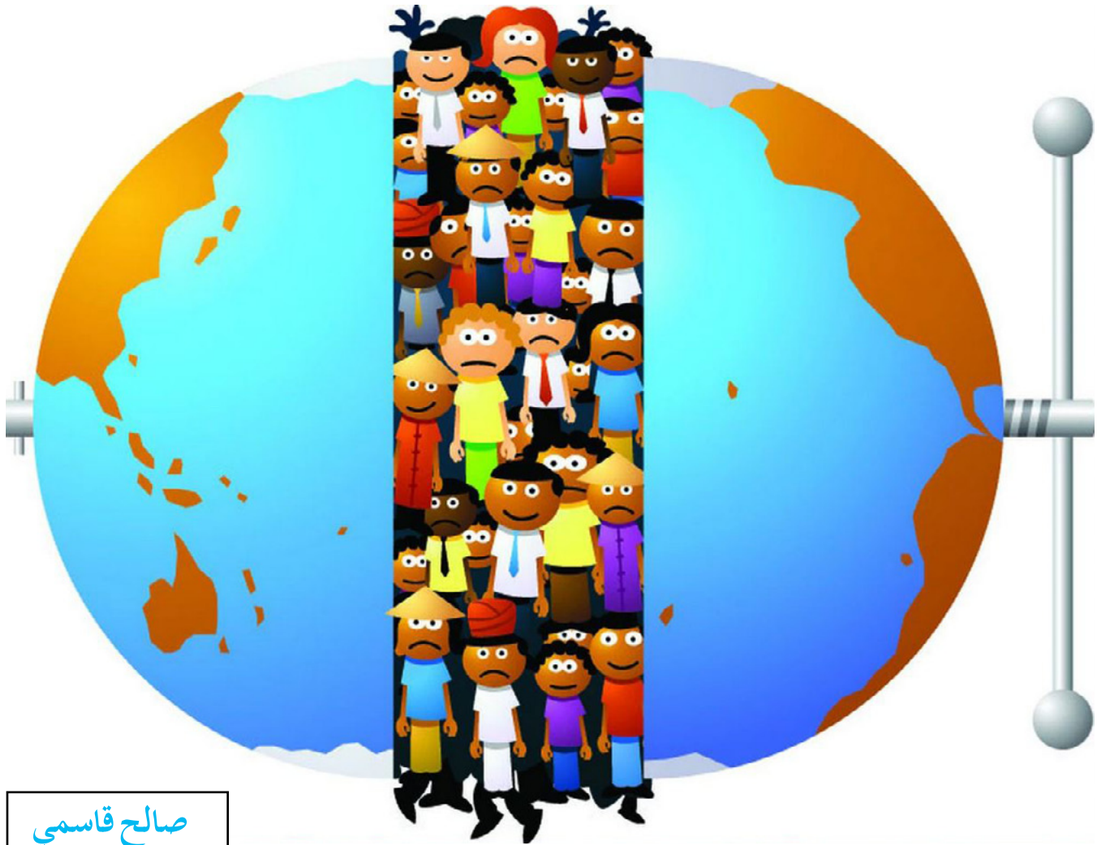

صالح قاسمي

السكان الجيدون والسكان الرديئون

نظرة على إزدواجية المعايير السكانية في العالم

إن المعايير المزدوجة والمواقف المتشعبة والسلوكيات المتناقضة بما في ذلك الإرهاب الجيد والإرهاب الردئ، وحقوق الانسان الغربية وحقوق الانسان الشرقية والديمقراطية الإيجابية والديمقراطية السلبية، هي ليست قضايا لا تعرفها شعوب العالم ونخبه. إن النظام الدولي السلطوي وعلى رأسه «الولايات المتحدة الامريكية» يعد في الوقت الحاضر، المتهم الرئيسي في وضع وممارسة إزدواجية المعايير والسلوكات المتناقضة، إذ ظهرت هذه الاستراتيجية المفضوحة وغير الانسانية في مختلف المقولات. إن دعم الملكية الديكتاتورية لـ«آل سعود» والزعم بالذود عن الديمقراطية وكذلك عدم الإعتراف بحكومة حماس الرسمية والديمقراطية في «غزة» تعد من مصاديق هذه المواقف المتناقضة والمتشعبة. كما أن إيجاد المجموعات الإرهابية بما فيها داعش والقاعدة وتقديم الدعم الواسع لها وبالتزامن إطلاق شعارات مكافحة الإرهاب عالميا وفي الوقت ذاته، تقديم الدعم لارهاب الدولة للكيان المحتل للقدس من دون قيد أو شرط، يعد هو الاخر من أبرز نماذج هذه المعايير المزدوجة في العالم.

إن كمية ونوعية سكان بلدان العالم، كانا خلال العقود القليلة المنصرمة من الموضوعات التي أدارها نظام الهيمنة الغربي ببراعة، وكان في ظل تطبيق نماذج مزدوجة وهادفة، بصدد خفض وإدارة سكان معظم دول العالم وعلى وجه الخصوص المجتمعات الاسلامية بما فيها ايران من جهة، وزيادة السكان وإصلاح الهرم السكاني العمري للدول الغربية المكونة للهيكلية الدولية من جهة أخرى. إن استعمال المفاهيم الانسانية المقبولة والمنظمات والمؤسسات الدولية، واستغلال الأوساط العلمية في الظاهر والمرجعية الدولية، كان من أهم استراتيجيات الغرب لنيل أهداف الأهداف المتشعبة لسكان العالم.

إن العديد من الدول الغربية أبدت خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، توجسا وقلقا من التغيرات الخطيرة التي طرأت على الهرم السكاني في مجتمعاتها، وبدأت بوضع سياسات شاملة على طريق إصلاح طريقة الإنجاب لدى الأسر وصون هياكلها الاجتماعية في ضوء ترميم الهرم السكاني لديها، إذ سنسلط في هذا المجال الضوء على نماذج من هذه السياسات والمحفزات السكانية.

إن النقطة الملفتة والاستراتيجية في هذا المجال، هي أن الدول

التي تشكل نظام الهيمنة الدولي، تابعت وتتابع من خلال ممارسة النفوذ في المنظمات الدولية وتوظيف وتوجيه هذه المنظمات الرئيسية على الصعيد الدولي، وبالتوازي تطبيق المحفزات السكانية لمجتمعاتها وتولى هذه الأوساط الدولية، عملية القيادة والتوجيه، وضع سياسات إدارة وخفض سكان دول ما يسمى الشرق لا سيما الإسلامية منها، إذ أن ايران الاسلامية تعد واحدة من أبرز ضحايا هذه السياسات السكانية المزدوجة.

وعندما تم التصديق على القانون الشامل لتنظيم الأسرة في ايران عام ١٩٩٤م.، وكان يطبق بقوة، قبول القائمون والمنفذون الرئيسيون لهذا القانون، بترحيب بالغ وتشجيع حافل من لدن المنظمات الدولية، لدرجة أنه تم منح عدة جوائز سكانية دولية لبعض أساتذة الجامعات والمدراء الحكوميين المنفذين لهذا القانون؛ لكن عندما غيرت الجمهورية الاسلامية سياساتها السكانية السابقة، بالتزامن مع تطبيق القوانين الحمائية الغربية للسكان والأسرة، عام ٢٠١٥م.، وأصبحت بصدد وقف سياسة تحديد النسل، تصاعدت إزاء هذا الموقف صيحات إحتجاج تلك الدول والمنظمات الدولية وإنذاراتها. والمؤسف يجب القول أنه في هذا الخضم، أغمض عدد من الخبراء المحليين المولعين بالاخرين، أعينهم على القوانين الحمائية والمحفزات السكانية في الدول الغربية وكذلك المعطيات الإحصائية للبلاد، وضموا صوتهم لصوت نظام الهيمنة سعيا منهم للإيحاء بأن سياسات تشجيع الزيادة السكانية في ايران هي غير علمية وحتى محفوفة بالمخاطر.

ولمعرفة هذه المعايير الدولية المتشعبة بشكل أفضل، يرجى الإنتباه إلى الأسئلة والمقولات التالية:

- هل تعلم أن إجازة الزوجين اللذين يرزقان بطفل في «النرويج» إزدادت من ٤٧ إلى ٤٩ أسبوعا مع تسلم الراتب الشهري بنسبة ١٠٠٪، ومن ٥٧ إلى ٥٩ أسبوعا مع تسلم الراتب الشهري بنسبة ٨٠٪؟
- هل تعلم أن الكثير من الحكومات بما في ذلك في «ألمانيا» و«بولندا» و«ايطاليا» والولايات المتحدة و... لا تدعم الحصول على أساليب ووسائل منع الحمل إطلاقا، وأن السياسة الحاسمة لهذه الدول، تمثلت على مدى السنين في دعم الإنجاب المبني على زيادة السكان؟
- هل تعلم أن وضع الحمل في بلدان مثل «فرنسا» وألمانيا والكثير من البلدان الاخرى التي تتبع سياسة زيادة السكان، يتم بصورة طبيعية، وتحظر قانونيا العملية القيصرية المنتخبة؟
- هل تعلم أن الزواج لزيادة النسل لدى اليهود في اسرائيل، يعد عاملا مهما، وأن قبوله فرض على كل يهودي، ومنعت عوامل وأدوات منع تحديد النسل بشكل صريح، وأن عدد الأبناء المقررين لكل أسرة في هذا الكيان، يبلغ خمسة أبناء؟
- هل تعلم أن رتبة الإنجاب في بلدان مثل فرنسا و«بريطانيا» وامريكا التي تحثنا على المزيد من تحديد النسل، تزيد عن رتبة الإنجاب في «الجمهورية الاسلامية الايرانية»، وأن التراجع الشديد لمعدلات الإنجاب في ايران في عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، تزامن مع ارتفاع معدلات الإنجاب في تلك الدول؟

ولا بد من وقفة تأمل عندما نعلم:

- أن ألمانيا ترصد سنويا ما يزيد عن ٢٧ مليار دولار كدعم حكومي لحماية الأسر في مجال الإنجاب؛
- أن فرنسا تدفع مبلغ ١٠٠٠ يورو كسياسة تشجيعية للذين يرزقون بطفل ثالث. كما أن جميع الأسر الفرنسية التي تملك ولدا تحت سن الثلاث سنوات، تتلقى مبلغا كمساعدة قدره ١٨,٢٤٣ يورو بازاء كل ولد؛
- إن الحكومة «الروسيةم تقدم للأسر التي ترزق بطفل ثان، مبلغ ٤٥٠ ألف روبل ما يساوي نحو ١٥ ألف دولار وهو ما يعادل المرتب الشهري لموظف روسي لمدة سنتين كهدية، كما تقدم بازاء ولادة الطفل الثالث، قطعة أرض بمساحة ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ متر مربع كهدية. وتقدم كذلك مساعدة مالية شهرية قدرها ٨٠ دولارا خلال السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل، بوصفها محفزات مالية من الحكومة الروسية للأسر؛
- وفي رياض الأطفال بـ«الدنمارك»، فان كل مربية ترعى بضعة أطفال فحسب؛
- وترصد بريطانيا مرتبا أسبوعيا للأسر التي تملك أطفالا، فتدفع مبلغ ٢٠,٣ جنيه استرليني للطفل الأول و١٣,٤ جنيه استرليني للاطفال الذين يولدون بعده؛
- وتشتمل السياسات الحمائية للولايات المتحدة الامريكية لبلوغ الهدف المعلن للسكان ال٦٠٠ مليون نسمة خلال السنوات الـ٨٠ المقبلة على تخفيض كبير للضريبة على الدخل للاسر التي تملك أطفالا، ومنح إئتمانات ومساعدات مالية للولادة، ورياض الأطفال ومراكز رعاية الأطفال والرسوم الشهرية للجامعات للأطفال وقوانين استقبال المهاجرين الأجانب ومنح الإقامة الدائمة المتمثلة باستقبال نحو ٩٠٠,٠٠٠ مهاجر سنويا.

وغني عن القول أن نظام الهيمنة، وفي خطوة هادفة وذكية للغاية، قسم سكان العالم إلى فئتين، السكان الجيدون والسكان الرديئون، ويسعى من خلال ممارسة السياسات الخفية والمعايير المزدوجة والمتشعبة، للإدارة والتحكم بسكان دول الشرق والمجتمعات الاسلامية بما فيها الجمهورية الاسلامية الايرانية، ويتابع في الوقت ذاته، تحقيق الغاية المتمثلة باصلاح التعاطي المتعلق بالإنجاب لدى أسره وزيادة سكان الدول الغربية.

ومن النافع أثناء دراسة وفهم أسباب إيجاد السياسات السكانية المتشعبة في العالم، الإنتباه إلى عدة أحداث وتطورات اجتماعية. وعلى مدى ما يقارب الستين عاما المنصرمة، وعقب ظهور تبعات وتداعيات التقليص الشديد لمعدلات النمو السكاني في الكثير من الدول الغربية وامريكا واستمرار نمو السكان في البلدان الشرقية والاسلامية وكذلك عقب تحول السكان إلى أحد المكونات الاستراتيجية جدا للسلطة والحضارة، بدأت حقبة جديدة من السياسات والمعايير السكانية المتشعبة والمتعددة في العالم. وفي هذه الحقبة حيث كان نظام الهيمنة الدولي الذي يحيث ويشجع ما يسمى البلدان الأقل نموا بواسطة أداة المنظمات الدولية على تحديد النسل بشكل جاد، يطبق هو داخل بلدانه سياسات تحفيزية مهمة لتشجيع وتحفيز الأسر على المزيد من إنجاب الأطفال وزيادة عدد السكان.

فمن جهة، يعتبر الكثير من المنظرين الدوليين بعلم الاقتصاد، السكان بانهم أهم مكون وقوة دافعة للاقتصاد[١] ومن جهة أخرى، يتم لبعض دول العالم عرض نموذج خفض السكان لتحقيق التنمية الاقتصادية، ويتم دائما تضخيم خطر تراجع المصادر الغذائية والزراعية، واعتبار أن ذلك ناجم عن زيادة عدد السكان. وفي مثال اخر، يتم تدريس نظريات الأمن على قاعدة السكان في الكراسي العلمية والأكاديمية من جهة، واعتبار أن الحجم المتكدس من السكان في بعض البلدان، سببا لتدهور الأمن وغياب النظام الاجتماعي من جهة أخرى.

ويمر العالم اليوم بعصر جديد من السياسات السكانية المتشعبة والمتعددة، إذ أن وقفة تأمل في مصطلح «الحرب السكانية العالمية» مفيدة إلى حد ما لمعرفة هذه الحقبة. إن الدول المتقدمة وبعض الدول النامية، قرعت جرس الإنذار لنفسها من أن تراجع معدلات النمو السكاني وشيخوخة الهرم السكاني، قد قلص معدلات الإنجاب والولادة لديها لدرجة أنها لن تكون قادرة في المستقبل على التعويض عن ذلك، الامر الذي يؤدي إلى الإنحطاط الاجتماعي وإنحسار السكان عندها؛ لذلك فان هذه الدول أخذت تعتمد حديثا محفزات كثيرة لزيادة السكان وولادة المزيد من الاطفال، لكن بالتزامن، فان الكثير من الوثائق التي بعضها متعلق بـ«الأمم المتحدة»، يبرهن بان مشروعات دولية مهمة أعدت ووضعت على يد بعض القوى الغربية، منذ سنوات مضت، للخفض الاقليمي لسكان العالم. إن تصريحات الشخصيات النافذة والمنظمات الدولية المختلفة تظهر أن هذه الخطط، مازالت مدرجة على جدول أعمال الغربيين.

إن أساس الخفض المتعمد والهادف للسكان أو بالاحرى، شطب السكان، هو صيغة يميل إليها ويحبذها الكثير من الخواص السياسيين في الغرب. إن نديالكتيك (جدلية) هيغل» هي طريقة تفكير تقوم على ثلاث مراحل: المشكلة، وردة الفعل والحل. قم باثارة المشلكة، وقم بايجاد ردة الفعل، وقدم طريق الحل. وفي الوقت الحاضر، نرى بجلاء كيف أن أعلى السلطات الغربية، قامت بايجاد المشكلة فيما يخص قضية السكان في العالم، وبلورت ردة الفعل، وقدمت الحل القاتل. والنقطة المهمة للغاية هي أن هؤلاء النخبة العالميين يتابعون من خلال التطبيق الذكي للمعايير المزدوجة للعدد المرجو للسكان، مشاريع خفض سكان الدول الاقل نموا وخاصة الاسلامية منها عبر القنوات المتعددة، بما فيها المنظمات الدولية، وفي الوقت ذاته، تصف برامج وخططا شاملة لسياسات ومحفزات زيادة السكان لبعض الدول الغربية، وتضعها على جدول الأعمال بدقة تامة وبقوة كبيرة.

ونتناول تاليا، وجهات نظر طرحتها سلطات ومنظمات غربية ودولية حول مشكلة السكان في العالم والمشاكل التي تعترض تحقيق أهدافها وكذلك ضرورة حفظ سكان أقلية من المجتمعات الثرية وصاحبة السلطة في العالم.

ويقول **باري كومونر**[٢] السياسي وعالم الأحياء الامريكي في كتابه بعنوان «السلام مع الكوكب»:

لقد قدمت اقتراحات يمكن أن تجلب الموت للشعوب المتخلفة. وثمة مشروعات وخطط لإرغام الأشخاص على امتلاك عدد محدود من الأبناء أكان ذلك يتحقق بواسطة الأدوات الجسدية أو القانونية. إن الخبراء يقولون لنا اليوم: بدلا من توسيع جهودنا لمساعدة الشعوب الجائعة والضعيفة في العالم، يجب تقييد هذه الجهود من أجل الحفاظ على الجيل المفيد من البشرية.[٣]

وقال **جاك كوستو**[٤] الخبير بعلم البيئة والباحث الفرنسي، في مقابلة مع مجلة «يونسكو كورير» عام ١٩٩١م. حول ضرورة الإدارة المزدوجة لسكان العالم: **إنه لامر سئ جدا أن نكون مرغمين على البوح بهذا، بيد أنه يجب تثبيت السكان المفيدين في العالم، ولهذا الغرض، يتعين حذف ٣٥٠ ألف شخص من السكان غير المفيدين يوميا.**[٥]

ويقول **بيرتراند راسل**[٦] الفيلسوف والمؤرخ والناشط السياسي والاجتماعي البريطاني الشهير في كتابه «أثر العلم في المجتمع» عام ١٩٥٣م.: **لا أتظاهر بان تحديد الحمل والإنجاب، يشكل السبيل الوحيد للحد من زيادة سكان العالم. إن الحرب والقتل والإبادة الجماعية بدت مخيبة للآمال لحد الان، لكن قد تكون الحروب البيولوجية والجرثومية أكثر أثرا في هذا المجال. وإن أمكن نشر "الموت الأسود"٧ في كل جيل، مرة واحدة حول العالم، فان الناجين القيمين في العالم، سيكون بوسعهم التكاثر والتناسل بحرية ومن دون أن يمتلئ العالم أكثر من اللزوم. وثمة ثلاثة طرق لتثبيت السكان المفيدين في العالم: تحديد الحمل، وقتل الأطفال حديثي الولادة والناس من خلال الحروب المدمرة والفتاكة للغاية وجعل شعوب العالم تعيسة، باستثناء أقلية قوية ومفيدة.**[٨]

وقال **ثيودور روزفلت**[٩] الرئيس الامريكي الأسبق في رسالة وجهها في ٣ يناير ١٩١٣م. إلى **تشارلز دافنبورت**[١٠] عالم الأحياء الامريكي البارز ومن أنصار إيديولوجية التعديل العرقي الهادف للبشرية: **أحب بشدة منع الأناس غير المفيدين وغير الصالحين، من الإنجاب والتناسل بالكامل. إن هذا العمل يجب أن ينفذ عندما تتضح بما فيه الكفاية، الطبيعة الشيطانية لهؤلاء الأشخاص. ويجب إعقام المجرمين والأفراد قليلي العقل لكي لا يرزقوا بأطفال. يجب التركيز على التوالد والإنجاب لدى الأشخاص والمجتمعات المنشودة والمفيدة في العالم. إن المجتمع العالمي لا يجب أن يسمح باي وجه من الوجوه، للأفراد الفاسدين، توليد نوعهم، إن أي مزارع لا يسمح لجميع ماشيته أن تتوالد وتتناسل. وسننتبه يوما ما أن أهم واجب والواجب الذي لا يمكن تجنبه للمواطنين العالميين الجيدين، يتمثل في أن يجعلوا دمائهم باقية في العالم بعد رحيلهم، أي يجب ألا نسمح بديمومة جيل من البشرية يعد من الصنف غير الملائم لسكان العالم. إن المعضلة الكبرى للحضارة هي أن تكون قادرة على ضمان إمكانية زيادة عدد الأشخاص القيمين في مقابل العناصر قليلي القيمة أو المضرين من سكان العالم.**[١١]

المشروع السري للولايات المتحدة بعنوان nssm200 وبهدف إدارة سكان العالم

وقدم المنظر ووزير الخارجية الامريكي الاسبق **هنري كيسينجر**[١٢] خطة عام ١٩٧٤م.، كان يتم بموجبها استخدام الغذاء كسلاح. ويمكن مشاهدة هذه الخطة في «المذكرة رقم ٢٠٠»[١٣] في وثيقة بحوث الأمن القومي لعام ١٩٧٤م. وكان عنوان هذه المذكرة «التداعيات العالمية للنمو السكاني على أمن امريكا ومصالحها»، وصودق عليها بعد عام أي في نوفمبر ١٩٧٥م. كسياسة رسمية لـ**جرالد فورد**، الرئيس الامريكي آنذاك. وكانت هذه المذكرة، خطة سرية لخفض السكان في الدول الأقل نموا، وذلك من خلال استخدام تحديد النسل وبصورة تلويحية الحرب والمجاعة. في حين أن امريكا والغرب، لم يكونوا يطيقون تطبيق سياسات تحديد النسل في بلدانهم. وفي منظور كيسينجر، يقسم مواطنو المجتمع العالمي إلى فئتين، منتجة ومستهلكة عديمة الجدوى، إذ يتعين خفض تعداد الأناس عديمي الجدوى، وصون الأناس الذين يزعمون هم أنهم مفيدين وغربيين حتما. وقال في عام ١٩٧٨م. ونحن سنوات بعد تسلمه جائزة نوبل للسلام:

إن سياسة امريكا والغرب، يجب أن تكون تجاه بلدان العالم الثالث، سياسة حذف السكان.[١٤]

ويتوجب على نخبة المجتمع التوقف عند هذا الموضوع: لماذا عندما تم منح جوائز السكان الدولية لايران عام ١٩٩٣م. على خلفية تنفيذ برنامج تنظيم الأسرة، قدمت امريكا على أنها واحدة من أفشل دول العالم في مجال تنظيم الأسرة وخفض السكان؟ ولماذا عندما كانت المحافل والأوساط الدولية والدول الغربية تشجعنا نحن والدول الاسلامية الاخرى على المزيد من خفض السكان، كان يتم بالتزامن تطبيق قانون المحفزات السكانية وسياسات زيادة السكان على نطاق واسع في دول بما فيها الولايات المتحدة الامريكية والإتحاد الاوروبي والكيان الصهيوني؟

ويقول الدكتور **تشارلز رافن هولت**[١٥] المدير السابق لصندوق الأمم المتحدة للسكان: **إن تحديد النسل، ضروري لحفظ الأداء الطبيعي للمصالح التجارية للولايات المتحدة والغرب في أرجاء العالم. ويبدو أن بالإمكان منع وصول السكان إلى ١٠ مليارات نسمة، بطريقين؛ يجب أن تتراجع معدلات التوالد والتناسل الحالية بسرعة وكذلك رفع معدلات الوفيات. ولا يمكن تخيل طريق حل اخر.**[١٦]

مشروع دراسة «أمريكن اينتربرايز» على تطورات السكان في العالم الاسلامي

ويشير الدكتور **نيكولاس إيبرشتات**[١٧] أحد الباحثين البارزين في «معهد إينتربرايز»[١٨] الامريكي في مقال بعنوان «خفض الإنجاب في العالم الاسلامي؛ التغير الهائل الذي لم ينتبه بمنتهى الغرابة إليه أحد»[١٩] إلى حقائق، تساعد كثيرا على فهم سلوكيات الغرب ومعاييره المزدوجة والمغرضة بالكامل فيما يخص موضوع السكان في المجتمعات الغربية والمجتمعات الاسلامية. وتوصل من خلال الإفادة من المعطيات المتأتية من ٤٩ دولة والمناطق التي تقطنها أغلبية مسلمة، أن معدل الإنجاب خلال الأعوام ١٩٧٥-١٩٨٠م. و ٢٠٠٥-٢٠١٠م. قد إنخفض في المتوسط إلى ما لا يقل عن ٤٤٪، بينما بلغ تراجع معدل الإنجاب في العالم باسره نسبة ٣٢٪. وشهدت ٢٢٪ من الدول والمجتمعات الاسلامية، خفضا في الإنجاب بنسبة ٥٠٪ أو يزيد، والمؤسف أن النسبة الأكبر من خفض الإنجاب التي حصلت خلال العقود الثلاثة الماضية وبلغت ٧٠٪، حصلت في ايران الاسلامية. ويقول ابرشتات في جانب من هذا المقال: **إن تراجع معدل الإنجاب في ايران، خلال السنوات الثلاثين الماضية، كان مذهلا ويساوي ٧٠٪. إن هذه النسبة كانت أحد أسرع وأبرز الإحصاءات والأرقام المتعلقة بخفض الإنجاب في تاريخ البشرية.**

والحقيقة أنه يتم بالتوازي مع التغيرات السريعة والمقلقة للهرم السكاني في الدول الغربية، القيام بعمليات تخطيط واسعة في العالم لخفض السكان في البلدان الاسلامية وإزالة الصبا عن السكان، لان الغربيين يتذكرون جيدا، أنهم كانوا تحت سيطرة وغلبة العلوم والحضارة الاسلامية حتى القرن الرابع للهجرة على أقل تقدير، وأن المصادر والنتاجات العلمية للمسلمين، كانت تشكل معظم الإسنادات العلمية للعلماء الغربيين. والخلاصة أن الدول الغربية فزعة وخائفة بشدة من تزايد نفوس المسلمين وإيجاد نافذة سكانية في البلدان الاسلامية وبالتالي، ولادة وازدهار الحضارة الاسلامية الحديثة مجددا والتي تشاهد طليعة ظهورها بعد الثورة الاسلامية في ايران بوضوح وجلاء في العالم الاسلامي. ولنتذكر أن إحدى المقدمات الاستراتيجية لامتلاك اقتصاد مزدهر وأمن مستديم ومجتمع مفعم بالحيوية وإجمالا، الشرط الأساس لبناء الحضارة الاسلامية الحديثة، تكمن في نمو وانتعاش السكان؛ في حين إننا إن مضينا قدما بهذا النموذج، فان المسنين، سيشكلون خلال السنوات الثلاثين المقبلة، الأغلبية الإحصائية للسكان في ايران.

ويجب الإعتراف بمنتهى الغرابة والذهول، أن ايران هي البلد الوحيد الذي ينقسم فيه خبراء السكان، إلى فئتين، رغم أن جميع الأرقام والإحصاءات والمعطيات الوطنية والدولية تشير إلى التهاوي المدوي لمعدل الإنجاب وظاهرة تسونامي الشيخوخة التي قد تحدث قريبا في ايران. والمؤسف أن عددا من الخبراء الذين في معظمهم من منفذي برنامج تحديد النسل خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، هم بصدد تخطئة السياسات السكانية الحديثة والمزيد من خفض السكان في البلاد. ويقومون تارة بالتلاعب بالإحصاءات واستشراف البحوث السكانية، وينشرون معطيات غير علمية، ويقيمون بدعم من الدول الغربية ملتقيات مضادة للسكان في ايران، ويعتبرون تارة أخرى، شيخوخة السكان، بانها فرصة ذهبية. ويقومون أحيانا برفع وتحريف سن الشيخوخة إلى ٦٥ عاما، ويتخذون في بعض الأحيان مواقف سياسية في مجال السكان بدلا من تقديم المعطيات والآراء الموثقة والعلمية، ويعتبرون السياسات السكانية الحديثة، بانها ناتجة عن المعلومات المغلوطة. وكأن عددا ممن يعملون في هيئة خبراء السكان، ويتمتعون بالمناسبة باسناد كامل من الحكومة الحادية عشرة، لا يُحملون أنفسهم رسالة سوى تحقيق أهداف وغايات المكتب السكاني لـ«منظمة الصحة العالمية» والمتمثلة بازالة وحذف السكان من ايران الاسلامية.

الهوامش:

١. ويعد صمويلسون وهارود وسولو وفلبس وكوزنتس و آرو من أهم المنظرين الإقتصاديين ومن الأساتذة الشهيرين في علم الاقتصاد، ممن تطرقوا بجانب التنظير في مختلف تفرعات علم الاقتصاد، إلى قضايا بدء من البطالة والتوازن العام مرورا بالتجارة والفقر وصولا إلى دراسة وتحليل أثر المتغير السكاني على الاقتصاد، فعلى سبيل المثال، نشر صمويلسون، الفائز بجائزة نوبل للاقتصاد لعام ١٩٧٠، مقالا في مجلة «الاقتصاد السياسي» عام ١٩٥٨م.، عنوانه «نموذج دقيق للقرض الاستهلاكي مع أو بدون العقد الاجتماعي للمال". وبرهن في هذا المقال الذي حقق إنجازا عظيما أن معدل الإنجاب الانساني يشكل أفضل عامل للحركة والتكامل الاقتصادي.

٢. وكان باري كومونر (Barry Commoner) (١٩١٧م.) كاتبا وعالم أحياء امريكي وسياسيا وخبيرا بالبيئة وأحد رواد تأسيس الحركات البيئية الحديثة.

٣. النسخة الإلكترونية لكتاب «السلام مع الكوكب» (Making Peace With the Planet)، باري كومونر، ص ١٩٤.

٤. جاك كوستو (Jacques-Yves Cousteau) ضابط القوات البحرية وعالم البيئة والباحث الفرنسي البارز.

٥. النسخة الإلكترونية لكتاب؛ مراسم أدائي القسم في القيامة(My Inaugural Address at the Great White Throne Judgment of the Dead)، الوين مايلر، ص ٣٦٣.

٦. بيرتراند آرثور ويليام راسل (Bertrand Arthur William Russell) (١٨٧٢-١٩٧٠م.)، فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومورّخ وعالم اجتماع وناشط سياسي بريطاني، عاش في القرن العشرين.

٧. في إشارة إلى وباء الطاعون الذي أودى في القرن الرابع عشر، بحياة نحو ٢٠٠ مليون انسان.

٨. النسخة الإلكترونية لكتاب «أثر العلم في المجتمع» (The Impact of Science on Society)، بيترتراند راسل، ص ١١.

٩. ثيودور روزفلت (Therodore Roosevelt) (١٩١٩-١٨٥٨م.) وكان الرئيس السادس والعشرين للولايات المتحدة الامريكية من الحزب الجمهوري.

١٠. تشارلز بنديكت دافنبورت (Charles Davenport) (١٨٦٦-١٩٤٤م.) وكان متخصص علم البيولوجيا ومن قادة حركة التعديل العرقي الامريكية.

11. T. Roosevelt letter to C. Davenport about degenerates reproducing

١٢. هنري آلفرد كيسينجر (Henry Alfred Kissinger)، الدبلوماسي الامريكي ذائع الصيت والمستشار الأسبق للأمن القومي للولايات المتحدة، ولد في ٢٧ مايو ١٩٢٣م. في أسرة يهودية في ألمانيا، بمدينة «فورت». وهرب عام ١٩٣٨م. مع أسرته من ألمانيا إلى امريكا وأقام في نيويورك. وانتخب في عهد الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون، وزيرا للخارجية. وفاز عام ١٩٧٣م. بجائزة نوبل للسلام بسبب جهوده لإنهاء حرب «فيتنام». ويطلق عليه إسم كبير استراتيجيي العالم.

١٣. وأبرمت إتفاقية تعرف بت«إتفاقية ٢٠٠» (NSSM200) عام ١٩٧٤م.، كان مصممها هنري كيسينجر. وبقيت هذه المعاهدة سرية حتى عام ١٩٨٩م.، وكان موضوعها يتعلق بدراسة نمو السكان في العالم وتداعياته على الأمن القومي للولايات المتحدة ومصالحها الخارجية وكيفية إدارة السكان في العالم.

١٤. النسخة الإلكترونية لكتاب «الإيدز والأفيون والماس والإمبراطورية: فيروسات الجشع والنهم الدولية» (AIDS, Opium, Diamonds, and Empire: The Deadly Virus of International Greed)، نانسي تورنر بانكس، ص ١٦١

15. Dr. Charles Ravenholt

١٦. النسخة الإلكترونية لكتاب «الإيدز والأفيون والماس والإمبراطورية: فيروسات الجشع والنهم الدولية (AIDS, Opium, Diamonds, and Empire: The Deadly Virus of International Greed)، نانسي تورنر بانكس، ص ١٦١

17. Dr.Nicholas-Eberstadt

١٨. وتأسست مؤسّسة «امريكن إينتر برايز» عام ١٩٤٢ لاجراء بحوث ودراسات حول السياسات العامة للولايات المتحدة، وتعد أحد أهم المؤسسات وأكثرها نفوذا في امريكا.

19. Nicholas Eberstadt 2013, on Fertility Decline in the Muslim World: A Veritable Sea-Change, Still Curiously Unnoticed.

اليهود والسحر في العصور الوسطى

إن الحديث عن الكتب والمصادر النظرية لليهود (التوراة والتلمود والكابالا) ومسار نشأة أسسها، هو الحديث عن المبادئ النظرية والعقائدية الخاصة التي تنطوي بحد ذاتها على «حجة العمل» الفردية والجماعية لليهود، وهي التي تبرز في جميع التعاملات والمناسبات الجلية والخفية. وهذه المصادر، أماطت اللثام عن الطبقات المتداخلة لميل اليهود إلى الشرك وعبادة أوثان عصر الفراعنة، وأظهرت سلسلة إعتقادهم وعملهم بالعلوم الخفية والسحر. وكما تم توثيقه في الأجزاء السابقة من «قبيلة اللعنة»، فان تراث الفراعنة انتقل عن طريق أشرار اليهود (أتباع السامري) إلى الأجيال اللاحقة. وقد أشارت أحد أقسام «التلمود»:

وقد نزلت إلى الدنيا عشرة مكاييل من السحر، التقطت «مصر» تسعة مكاييل منها وبقية الدنيا مكيال واحد.[١]

وهذا لا يعني أن المصادر التوراتية والتلمودية هي نفسها مصادر تعليم السحر، بل أن هذه المصادر المحرفة – عن الحقائق الوحيانية للديانة الموسوية – تسببت بظهور توجه نحو العالم والانسان، دفعت باليهود أكثر من أي زمن وحقبة، نحو العلوم الغريبة والغامضة. وفي الحقيقية فان اليهود، أخذوا حجة عملهم ونظريتهم من هذه المصادر، التي إنحرفت عن مسار الحقيقة بإتجاه العلوم الخفية.

والوجهة الرئيسية لليهود، في المتابعة التطبيقية والنظرية لهذه التعاليم، لم تكن سوى «السلطة»، بعبارة أخرى، فان هذه المصادر، كانت تصنع من كل يهودي، تمثالا ومجسما ل «الإرادة اللاهثة وراء السلطة»، في حين أن المصادر الدينية الموسوية الحقيقية، كانت تعتبر «العبودية التامة» بانها الوجهة النهائية للانسان المؤمن.

جدير ذكره أن تاريخ «التلمود» بدأ منذ السنين الثلاثمائة قبل ميلاد المسيح، واستمر حتى السنوات الأربعمائة بعد ميلاد المسيح.[٢]

إن التلمود، أبرز بشكل جلي للغاية، الصراع والنضال الذي كان سائدا بين المبادئ والمعتقدات الطاهرة والعقلانية [حسب تعبير آبراهام كهن] ل"التوراة" من جهة، والمعتقدات السخفية والخرافية لأناس تلك الحقبة من جهة أخرى. ويستهجن الكتاب المقدس، أي ضرب من السحر وأي نبؤات والرجم بالغيب بشدة، ونلاحظ بناء على ذلك، بان مجموعة من العلماء اليهود، لاسيما في العصور الأولية للتلمود، قد ناضلوا ببسالة وقوة لإستئصال فساد السحر الذي كان قد تهدد المجتمع، لكن هذه النضالات، لم تحقق نتيجة، واستولت السذاجة على العقل والإيمان.

وعرضت الآيتان ١٠ و ١٢ من الفصل الثامن عشر ل «سفر التثنية» أوجه من ممارسات السحر والشعوذة التي كانت رائجة وسائدة في تلك الحقبة بين الشعوب العابدة للأوثان، وقد منعت «التوراة» بنياسرائيل من ممارسة هكذا أفعال. ويستشف من الشرح الذي قدمه العلماء اليهود حول الأعمال المذكورة، أن هذه الممارسات كانت سائدة في عصرهم أيضا.[٣]

ويقول **آبراهام كهن**، حول الإنتشار العام للعرافة والتبصير والسحر بين اليهود:

إن حقيقة أن «التلمود» يشير بصورة مستمرة إلى العرافة والسحر كأعمال خاصة لعبدة الأوثان، مؤشر اخر على هذه الرغبة التي تبعد وتطهر وتنزه المجتمع عن هذه الممارسات السيئة...، لكن وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت من قبل العلماء اليهود لإزالة السحر ، فقد تغلغلت هذه الخرافات بين عوام الناس واستحوذت على جميع الطبقات والشرائح.[٤]

إن دراسة التلمود تضع بين أيدينا، الكثير من الشواهد عن تورط بنياسرائيل بالسحر:

إن التلمود يقدم شواهد كثيرة تشير إلى رواج كل أنواع الخرافات بين عوام الناس في تلك الأزمنة القديمة. وفيما يخص إنحطاط وزوال الحياة الوطنية، لدينا هذه الأقوال: إن الممارسات المنافية للعفة والحشمة والزنا والسحر، قد أبادت كل شئ. (ميشنا سوطا، ٩:١٣) وكذلك: عندما تزايد وتكاثر الأناس الذين كانوا يستعملون الطلاسم والتمائم كعامل للحفظ والوقاية في مقابل غضب الله، نزل غضب الله على العالم، وابتعد شخينا عن اسرائيل. (توسيفتا سوطا، ١٤:٣)

وقد أشير سابقا إلى رواج السحر بين نساء اسرائيل في ذلك العصر. وقيل حول «شيمعون بن شطح» الذي كان يعيش في القرن الأول قبل الميلاد، أنه أعدم ثمانين إمرأة ساحرة في يوم واحد بمدينة «اشقلون». (ميشنا سنهدرين، ٦:٤).

وقال «أبي يوحانيان» إن أي أحد لا يقبل في عضوية «مجلس السنهدرين الكبير» إلا إذا كان ملما بعلم السحر والشعوذة فضلا عن تحليه بالصفات والمعلومات المختلفة. (سنهدرين ١٧ أ)

إن الإيمان بأثر النجوم على حياة الناس، كان سائدا بقوة بين الناس. وقالوا بان النجوم لا أثر لها على مصير الحيوانات. (شبات، ٥٣ ب)[٥]

وحسبما يقول **أدين اشتاين سالتز** (ولادة ١٩٣٧م.) مؤسس «جامعة موسكو اليهودية» و «سن بطرزبورغ» وشارح ومفسير «التلمود البابلي» ومن الحاخامات المؤمنين بالسنة واليهودية التلمودية؛

إن كان الكتاب المقدس يشكل الحجر الأساس لليهودية، فان «التلمود» سيشكل نصوصه الرئيسية، والتي انبثقت من قمة الأسس وترفد مجمل البناء والعمارة المعنوية والعقلانية لليهودية. إن التلمود يعد من الكثير من الابعاد، أهم كتاب في الثقافة اليهودية والعمود الفقري لإبداعهم وحياتهم القومية. ولا يمكن العثور على أي كتاب قد أثرّ بقدر التلمود على الحياة اليهودية في النظرية والتطبيق، وتكوين محتوى ومضامينها المعنوية والإضطلاع بدور مدونة السلوك. إن اليهود كانوا يعرفون جيدا بان بقائهم ونموهم يكمن في قراءة التملود.[٦]

وفي ضوء الرجوع إلى مضامين وتعاليم التلمود، يمكن أن نجد الجذور النظرية والتطبيقية ل «اليهودية الصهيونية» وزعماء «المحافل السرية»، ومشاهدة أساس توجهاتهم نحو العالم وبارئ الكون والعباد المستضعفين لاسيما المسلمين.

ويقول **ويل ديورانت** حول انتشار وانتقال هذه التعاليم في الثقافة العامة لليهود وبين طبقات التقاليد الأسرية لليهود:

وفي اليهودية، كان كل منزل، كنيسا، وكل مدرسة، معبدا، وكل أب، كاهنا. وكانت الأدعية والطقوس الدينية للكنيسة، تقام في المنزل بالضبط، لكن بشكل مقتضب. وهناك كانت تقام أيام الصوم والأعياد الدينية بطقوس وبروتوكولات خاصة، إذ كانت تربط الحاضر بالماضي والأحياء بالموتى وحتى بالكائنات التي لم تكن تبصر النور حتى. وكان أب العائلة يجمع الزوجة والأطفال والخدم حوله في كل ليلة سبت، وكان يقدس واحدا واحدا منهم، ويرشدهم في تلاوة الأدعية والتعاليم الدينية وقراءة الغزليات المقدسة. وقد ألصقت أنبوبة صغيرة (مزوزا) على عتبة كل من الغرف الكبيرة للمنزل، وكانت هذه الأنابيب تحتوي على عريضة كتب عليها بندان من «سفر التثنية». (٤٠٦–٩ و ١٣٠١١–٢١)[٧] **وهذه العبارة تذكر وتنبه كل واحد من اليهود، بان إلههم، واحد وأن يحوبه «من أعماق القلب والروح وبكل قوة». وما أن يبلغ الطفل الرابعة من العمر، حتى كانوا يحضرونه إلى الكنيس، وكان الدين يحفر في ذهنه منذ المراحل الاولى لنموه.**

ولم يكن الكنيس مكانا للعبادة فحسب بل مركزا اجتماعيا لعامة اليهود. والمعنى اللغوي للكنيس، مثله مثل الكنيسة أو المجلس الكنائسي والحوزة العلمية، كان عبارة عن الجماعة أو إجتماع من أتباع ديانة ما، في العصور ما قبل ظهور المسيحية. وكان الكنيس، مدرسة (school) أصلا، ومازال اليهود الأشكناز يسمونه شوله (Schule). وفي عصر تفرق اليهود، كان يتم نشر قرارات، من أن مجلس «بث دين» إتخذها طوال الأسبوع، ويجبون الضرائب، ويعلنون تفاصيل الاشياء المفقودة، ويصغون للشكاوى التي رفعها أحد الأعضاء ضد الاخر، والبيع القريب للممتلكات التي أعلنت على عامة الناس، لكي إن يكن هناك من يملك دعوى أو حقا تجاهها، أن يعترض. وكان الكنيس يقوم بعمل جمعية خيرية عامة، وكان بمنزلة فندق للزوار في قارة اسيا. وكان مبنى الكنيس، أعلى مبنى في حي اليهود دائما. وفي بعض الأحيان، لاسيما في «اسبانيا» و«ايطاليا»، كان مبنى الكنيس من روائع الفن المعماري دائما، وكانوا يزينونه ويزخرفونه بتكاليف باهظة وولع كبير. وكانت سلطات الكنيسة، تحظر مرات ومرات، مباني الكنس التي كان يصل إرتفاعها إلى أعلى كنيسة في المدينة. وفي عام ١٢٢١م. أوعز البابا هرنويوس الثالث، لتدمير أحد هذه الكنس في مدينة «بورج». وكانت مدينة «سويل» في القرن الرابع للميلاد، تضم ثلاثة وعشرين كنسا، كما تضم تولدو وقرطبة هذا العدد تقريبا من الكنس، وأحد الكنس الذي بني في قرطبة عام ١٣١٥م. تم الحفاظ عليه اليوم بايعاز من الحكومة الاسبانية.

وكل كنيس حان يضم مدرسة تدعى بالعبرية «بث هاميدراش» (بيت التدريس). وإضافة إلى ذلك، كان هناك العديد من المعلمين الخصوصيين والمدارس الخاصة، وربما كان عدد الأناس المتعلمين بين يهود العصور الوسطى، أكثر نسبيا، منه من المسيحيين. رغم أن هذا العدد لم يكن ليصل إلى الأناس المتعلمين في العالم الاسلامي. وكان عامة الناس أو الآباء والأمهات يدفعون رواتب المعلمين، لكنهم كلهم كانوا ينفذون الواجب تحت إشراف جماعي. وكان الأولاد يذهبون إلى المدرسة في الصباح الباكر وفي الشتاء قبل شروق الشمس عادة، وبعد ساعات، يعودون إلى البيت لتناول وجبة الغداء، وكانوا يعودون ظهرا مجددا إلى المدرسة، وكانت لهم فرصة بين الساعتين الثانية والثالثة بعد الظهر، ويبقون في المدرسة حتى المغرب، وفي هذا الوقت، كانوا يغادرونها ليعودوا إلى بيوتهم لتناول العشاء وتلاوة الدعاء والخلود إلى النوم. وكانت الحياة، تتسم بالجدية بالنسبة للصبي اليهودي. وكانت اللغة العبرية والأسفار الخمسة، تشكل الموضوعات الرئيسية للتعلم. وكان التمليذ يبدأ في العاشرة من العمر، تعلم «مشنا»، وفي الثالثة عشرة، يتعلم الرسائل المهمة للتلمود. وتلك الفئة من التلامذة الذين كانوا يريدون التتبع في علم الدين، كانوا يشرعون منذ الثالثة عشرة أو فما فوق، بتعلم مشنا و«غمارا».[٨]

جدير ذكره، أنه في هذا المرجع التعليمي والملهم العام لليهود،

كان مجمل اليهود يتعلمون في ضوئه:

إن شواهد الجوهر العرفاني، أكان العرفان النظري أو العرفان التطبيقي أو العرفان الممتزج بالسحر، تشاهد بوفور في الأدب التلمودي.[٩]

الهوامش:

١. كُهن، آبراهام، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، ص ٢٣٤؛ نقلا عن: «التلمود»، عبارة وشين، ح ٤ ب.
٢. يحيى، هارون، «أسس الماسونية»، ص ١٥.
٣. كهن، آبراهام، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، صص ٢٣٠-٢٣١.
٤. المصدر السابق، صص ٢٣٤-٢٣٥.
٥. كهن، آبراهام، «اللّه والعالم والانسان في التعاليم اليهودية»، صص ٢٣٦-٢٣٧.
٦. اشتاين سالتز، آدين، «نظرة على التلمود»، ترجمة باقر طالبي دارائي، مركز دراسات وبحوث الأديان والمذاهب، ١٣٨٣هـ .ش.، قم، صص ١٦-٢١.
٧. «يا اسرائيل! إصغي إلى يهوه إلهنا، يهوه إله واحد. لذلك أغمري يهوه إلهك بالمحبة من الأعماق وبكل ما أوتيت من قوة، وهذا الكلام الذي آمرك به اليوم، ليكن على قلبك، وعلميه لأولادك بدقة، وتحدثي عنهم عندما تجلسي في البيت وتخرجي منه وأثناء النوم والنهوض، واربطيهم بذراعك من أجل التأشير والعلامة، وأن تكون عصابة بين عينيك، واكتبيها على عتبة باب منزلك، وعلى بواباتك».
«وسيكون هكذا، فان أصغيتم إلى الأوامر التي اصدرها اليوم اليكم، وتحبون يهوه إلهكم، وتعبدوه من الصميم والروح. فعندها سأهب المطر لأرضكم، أي مطر الاولين والاخرين في موسمه، لتجمعي حبوبك وعصيرك وزيتك، وساعطي الأعلاف في صحرائك لبهائمك، لكي تأكلي وتشبعي. إنتبهي! لكي لا تغتر وتنخدع قلوبكم، وتعبدوا وتسجدوا في العودة لآلهة أخرى. ويشتعل غضب اهل عليكم، ليغلق السماء ويحبس المطر، ولا تعطي الأرض محصولها، وأنتم ستهلكون قريبا لحرمانكم من بركة اهوى ويمنه. لذلك ضعوا كلامي هذا في قلوبكم وأنفسكم، واربطوه على أيديكم ليكون معلما، وأن تكون عصابة بين أعينكم وعلموها لاولادكم، وتحدثي عنها حينما تجلسي في البيت وتخرجي منه وأثناء نومك ونهوضك، واكتبيها على عتبات باب بيتك وبواباتك، لتصبح الايام وفيرة عليكم وايام أولادكم على الأرض التي اقسم ليعطيها لآبائكم، مثل أيام الأفلاك فوق الأرض». (م.)
٨. ديورانت، ويل، «قصة الحضارة» عصر الإيمان، ج ٤، صص ٤٨٨-٤٨٩.
٩. ابستاين، إيزيدور، «اليهودية ودراسة تاريخية»، ص ٢٧١.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة » (الجزء الرابع): الأوليغارشية الحاخامية، التلمود والكابالا، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ش.

الفاصوليا

تُعدّ الفاصوليا أحد أنواع البقوليات، وتزرع منذ آلاف السنين في موطنها الأصلي في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، وتعد الفاصولياء مصدراً غنياً بالبروتين مقارنةً بالأطعمة النباتية، وخاصةً لمن يتبعون حميةً غذائيةً نباتيةً، كما أنها غنية بالألياف، والفيتامينات، والمعادن، بالإضافة إلى أنها تحتوي على كمية منخفضة من الدهون والسعرات الحرارية، وللفاصولياء أنواع عديدة، منها:

١. الفاصوليا البيضاء،
٢. الفاصوليا الحمراء،
٣. الفاصوليا الخضراء،
٤. الفاصوليا السوداء.

فوائد الفاصوليا البيضاء

منخفضة المؤشر الجلايسيمي

المؤشر الجلايسيمي (GI) عبارة عن مؤشر يقوم بتصنيف الطعام وفقًا لتأثيره على مستوى السكر في الدم.

فالأطعمة ذات المؤشر الجلايسيمي المرتفع تعني أنها قد تسبب ارتفاع سريع في مستوى السكر في الدم، يليه انخفاض مفاجئ، مما يؤثر سلبًا على الطاقة لديك.

أما الأطعمة ذات المؤشر الجلايسيمي المنخفض فهي تحافظ على مستوى السكر في الدم، وتقلل من الجوع والمزاجية المرتبطة به.

مصدرًا غنيًا بالبروتين

البروتين يعد مادة ضرورية ومهمة لجسم الإنسان، فهو يدخل في العديد من العمليات والوظائف.

بدورها تعد الفاصوليا البيضاء غنية بالبروتين، كما أنها تمد جسمك بالكربوهيدرات.

جدير بالذكر أن كل حصة من الفاصوليا البيضاء تحتوي على ١٨ غرام من البروتين تقريبًا، مما يجعلها البديل عن اللحوم للأشخاص النباتيين.

تتمتع بخصائص مضادة للأكسدة

لمضادات الأكسدة العديد من الفوائد الصحية والجمالية، بالتالي تناول الأطعمة الغنية بهذه الخصائص من شأنه أن يعود بالفائدة على صحتك.

بشكل عام تتمثل فوائد مضادات الأكسدة في التحكم بمستويات الجذور الحرة في الجسم، والتي يسبب تراكمها ارتفاع خطر الإصابة بالعديد من الأمراض المزمنة مثل السكري والسرطان وأمراض القلب.

إضافة إلى ذلك تعمل مضادات الأكسدة على:

- تعزيز صحة القلب
- تحسين قدرات العقل والدماغ
- الحفاظ على صحة العيون
- ترطيب الجلد وتعزيز صحته وسلامته
- التقليل من علامات الشيخوخة وإبطاء عملية ظهورها.

تمدك بالألياف الغذائية التي تحتاجها

تعتبر الفاصوليا البيضاء مصدرًا جيدًا للألياف الغذائية المفيدة، فهي تساعد في تحسين وتعزيز صحة عملية الهضم لديك والجهاز الهضمي ككل.

جدير بالذكر أن هناك نوعين من الألياف الغذائية:

- الألياف الغذائية الذائبة بالماء: أي تلك التي تذوب لتشكل مادة مشابهة للجيل عند مزجها مع الماء، ولها العديد من الفوائد الصحية مثل الحفاظ على مستوى السكر في الدم وخفض الكوليسترول المرتفع.
- الألياف الغذائية غير الذائبة بالماء: ومن اسمها، هي لا تذوب بالماء، وتمر عبر الجهاز الهضمي، وتحمي من الإصابة بالإمساك والبواسير.

هذا وتحتوي الفاصوليا البيضاء على الألياف الغذائية الذائبة بالماء، فكل كوب منها يضم ٥٤٪ من الحصة اليومية اللازمة من هذه الألياف.

تساعد في تنظيف الجسم

تحتوي الفاصوليا البيضاء على مادة تدعى المولبدينوم، وهي مهمة لصحة الإنسان، إذ تستطيع تحفيز عدد من الإنزيمات التي تعمل على تنظيف الجسم من السموم.

بالتالي تناول هذا النوع من الفاصوليا من شأنه أن يساعد الجسم في التخلص من السموم والفضلات المتراكمة فيه، سواء من الطعام غير الصحي أو العادات اليومية الخاطئة التي نقوم بها بشكل يومي.

غنية بالمغنيسيوم

هل تعلم أن كوب واحد من الفاصوليا البيضاء يمدك بحوالي ١١٢,٨ ملغرام من المغنيسيوم، وهو ما يقارب ثلث الحصة اليومية الموصى بها منه؟ يعتبر المغنيسيوم معدنًا مهمًا للجسم وله العديد من الفوائد أهمها:

- زيادة الطاقة
- تنظيم مستويات البوتاسيوم والكالسيوم في الجسم
- المساعدة في الحصول على ليلة نوم أفضل
- المساهمة في علاج الاحتقان
- تعزيز صحة القلب
- خفض مشكلة تشنج العضلات وألمها
- الحماية من الإصابة بنوبات الشقيقة
- خفض خطر الإصابة بهشاشة العظام.

المساعدة في فقدان الوزن

وهي من الأمور المهمة المرتبطة بتناول الفاصوليا البيضاء، ويعود ذلك بسبب انخفاض المؤشر الجلايسيمي الخاص بها وبالتالي انخفاض الجوع لديك.

إضافة إلى غناها بالألياف الغذائية التي تزيد من شعورك بالشبع لفترة أطول.

فوائد الفاصولياء الحمراء

تعدّ الفاصولياء من المصادر الغنيّة بالمعادن، والفيتامينات؛ كالحديد، والفولات، والفسفور، وفيتامين ك١، والبوتاسيوم، كما تحتوي على المركّبات النباتيّة النشطة بيولوجيّاً؛ كالآيسوفلافون، والأنثوسيانين، وحمض الفايتيك، وغيرها من المركّبات، وتزوّد الفاصولياء الجسم بالعديد من الفوائد الصحيّة، ومنها ما يأتي:[١و٢]

تساعد على تقليل الوزن

فقد أشارت العديد من الدراسات أنّ تناول الفاصولياء يمكن أن يقلل من خطر الإصابة بزيادة الوزن أو السمنة، حيث بيّنت إحدى التجارب التي أجريت على أشخاص مُصابين بالسمنة أنّ الذين تناولوا الفاصولياء قلّ وزنهم بشكل أكبر من الأشخاص الذين لم يحتوي نظامهم الغذائي عليها، ويمكن أن يعود السبب في ذلك؛ لمحتوى الفاصولياء العالي من البروتينات، والألياف الغذائيّة، ومضادات التغذية، ومن أهم مضادات التغذية الموجودة في الفاصولياء غير المطبوخة؛ حاصرات النشا وهي نوع من البروتينات التي تؤخر عملية هضم وامتصاص الكربوهيدرات في القناة الهضمية، ووُجِدَ أنّ حاصرات النشا المستُخرِجَة من الفاصولياء البيضاء يمكن استخدامها كمُكمّلات لفقدان الوزن.

تحتوي على مضادات الأكسدة

إذ تعدّ الفاصولياء من الأطعمة الغنيّة بمضادات الأكسدة التي تسمى بمتعدّد الفينول، وتحارب هذه المضادّات الجذور الحرّة التي تسبّب العديد من الآثار الضارّة للجسم، كالتشيخوخة، والسرطان، والالتهابات.

تحتوي على الفولات

حيث تمتاز الفاصولياء بمحتواها العالي من الفولات، ويمكن أن يؤدّي نقص هذا العنصر في الجسم الإصابة بالعديد من الأعراض؛ كالإعياء، والتهيج، وفقدان الشهيّة، وخفقان القلب، ومن الجدير بالذكر أنّ الفاصولياء المجفّفة تحتوي على كميّة أكبر من الفولات من الفاصولياء المعلّبة.

تحسّن من مستويات السكر في الدم

إذ يساعد تناول الفاصولياء مع الوجبات على الحفاظ على المستويات الصحيّة من سكر الدم، وذلك لاحتوائها على البروتينات، والألياف، والكربوهيدرات بطيئة الامتصاص، كما تمتاز بانخفاض مؤشّرها الجلايسيمي، وبالتالي فإنّ محتواها من السكر يرتفع بشكل تدريجي وبطيء، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أنّ تناول الأطعمة ذات المؤشّر الجلايسيمي المنخفض كالفاصولياء يساعد على تقليل خطر الإصابة بمرض السكري.

تقلّل من خطر الإصابة بسرطان القولون

وذلك لأنّ الفاصولياء غنيّة بالألياف، والعناصر الغذائية التي يُحتمل أن يكون لها تأثير مضادّ للسرطان، ومن هذه الألياف النشا المقاوم، ومادة ألفا غالاكتوزيداز، ولا يتم هضم هذه الألياف، حيث أنها تنتقل إلى القولون؛ وتتخمّر بمساعدة البكتيريا النافعة، وينتج عن ذلك تكوين الأحماض الدهنية قصيرة السلسلة، والتي وُجِدَ أنّها يمكن أن تعزّز من صحّة القولون، وتقلّل خطر الإصابة بسرطان القولون.

تعزّز صحّة القلب

حيث وجد أن الأشخاص اللذين يتناولون الفاصولياء يمكن أن يكونوا أقل عرضةً للموت بسبب الإصابة بالسكتات الدماغية، وأمراض القلب والأوعية الدموية، والنوبات القلبيّة، وقد تبيّن من بعض الدراسات أنّ هنالك علاقة بين تناول الفاصولياء وتقليل خطر الإصابة بمرض القلب التاجي، كما أشارت إحدى الدراسات إلى أنّها يمكن أن تقلّل من مستوى الكوليسترول في الدم، وذلك لأن ارتفاع مستوى كوليسترول الدم مرتبط بأمراض القلب والنوبات القلبية.

تقلّل الشهيّة

حيث إنّ الفاصولياء تحتوي على النشاء والألياف الغذائيّة، ويمكن أن تُساعد هذه المواد على تقليل الرغبة بتناول الطعام، وزيادة الشعور بالشبع، وبالتالي المساعدة على خسارة الوزن.

فوائد الفاصوليا الخضراء

تعد الفاصولياء الخضراء أحد أنواع الفاصوليا، والتي تعرف أيضاً بالفاصوليا الطويلة أو الفاصوليا الهشة، ويوجد أكثر من ١٣٠ نوعاً من الفاصوليا الخضراء، وهو مصدر غني بفيتامين أ، وفيتامين ج، وفيتامين ك، وحمض الفوليك، والألياف، ويمكن استخدامه طازجاً، أو مجمداً، أو معلباً، ولكن يجب شطفه عند استخدامه معلباً، وهناك العديد من الفوائد التي تحتوي عليها الفاصوليا الخضراء، والتي تعود على الجسم بالكثير من الفوائد، ومنها:[٣و٤]

تساعد على الحفاظ على الوزن

حيثُ إنّ كوباً واحداً من الفاصوليا الخضراء النيء يحتوي على سعرات حرارية منخفضة، ونسبة دهون قليلة جداً.

تخفض من مستويات الكولسترول

حيثُ إنّ الفاصوليا الخضراء غنية بالألياف الذائبة في الماء التي قد تساعد على تقليل الكوليسترول الكلي والكوليسترول الضار، كما قد تعزز صحة القلب بتقليل ضغط الدم والالتهابات.

تحسن وظائف الجهاز الهضمي

حيث تعد الفاصوليا الخضراء من الأغذية المنخفضة بالفودماب؛ وهي عبارة عن كربوهيدرات غير مهضومة؛ تؤدي إلى حدوث الغازات، وآلام في البطن، والإسهال، والإمساك، وقد تؤدي إلى تفاقم بعض الاضطرابات الأخرى، مثل: متلازمة القولون العصبي، لذلك فقد يكون تناول الفاصولياء من قِبل الأشخاص الذين يعانون من مشاكل هضمية مزمنة خياراً جيداً.

تعتبر من المصادر الغنية بالبروتينات النباتية: التي تعد بروتينات غير كاملة؛ وذلك لأنها تفتقر إلى أحد الأحماض الأمينية على الأقل، وتجدر الإشارة إلى أنّ الجسم يحتاج إلى البروتين للحفاظ على العظام، والشعر، والعضلات، ولصحة جهاز المناعة.

تقلل خطر الإصابة بالعيوب الخلقية

حيث تحتوي الفاصوليا الخضراء على العديد من الفيتامينات الأساسية، وخاصةً الفولات؛ الذي يساعد على الوقاية من عيب الأنبوب العصبي، والعيوب الخلقية الأخرى.

تحتوي على فيتامين ج

حيث تعد الفاصوليا الخضراء مصدراً جيداً لفيتامين ج؛ الذي يعد مضاداً للأكسدة، ويغطي الكوب الواحد منه ٢٥٪ من الكمية الموصى بها يومياً، ومن الجدير بالذكر أنّه يساعد على إنتاج الكولاجين، وحماية البشرة من الإجهاد التأكسدي، بالإضافة إلى تعزيز جهاز المناعة.

تحتوي على فيتامين أ

يوفر الكوب الواحد من الفاصوليا الخضراء أقل من ١٥٪ من الكمية الموصى بها من فيتامين أ يومياً، ويعد هذا الفيتامين ضرورياً لصحة المناعة، والرؤية، والتكاثر.

تدعم التئام الجروح

حيثُ تعد الفاصوليا الخضراء مصدراً غنياً بالمعادن، وخاصة المنغنيز؛ الذي يعتبر معدناً أساسياً معززاً لعمليات الأيض في الجسم وصحة العظام، كما يمتلك خصائص مضادة للأكسدة.

تساهم في تقليل خطر الإصابة بالسرطان

حيثُ إنّ الفاصوليا الخضراء غنية بالكلوروفيل؛ الذي قد يثبط من التأثيرات السرطانية للمواد الناتجة عن شوي اللحوم على درجات عالية.

تعزز الخصوبة لدى النساء

بحسب ما أظهرته الدراسات التي أجرتها جامعة هارفارد عن علاقة مستوى الخصوبة عند النساء ومستويات الحديد، ومن الجدير بالذكر أنّ الفاصوليا غنية بالحديد؛ ويوفر الكوب الواحد من الفاصوليا الخضراء ١٠٪ من الاحتياجات من الفولات و٦٪ من الحديد.

تقلل من الاكتئاب

حيثُ إنّ الفاصوليا الخضراء غنية بالفولات؛ الذي قد يقي من فرط التراكم الهموسيستين في الجسم؛ الذي قد يُعيق زيادته وصول الدم والعناصر الغذائية الأخرى إلى الدماغ، كما يمكن أن تتداخل مع إنتاج هرمونات السيروتونين، والدوبامين، والنورابينفرين؛ المسؤولة عن تنظيم المزاج، والنوم، والشهية.

تدعم صحة العظام

حيثُ إنّ الفاصوليا الخضراء غنية بفيتامين ك؛ الذي يُحسن امتصاص الكالسيوم ويقلل من التخلص منه عن طريق البول، فيوفر الكوب الواحد من الفاصوليا الخضراء ٢٠٪ من الاحتياجات اليومية من فيتامين ك، و٤٪ من الكالسيوم، بينما يرتبط انخفاض تناول فيتامين

المراسانا الثقافية

* الرقم٦٦
* رمضان كريم
١٤٤١

ك بزيادة خطر الإصابة بكسور العظام.

فوائد الفاصوليا السوداء

الحفاظ على صحة العظام

تحتوي الفاصوليا السوداء على العديد من العناصر الغذائية الهامة لصحة العظام وتقويتها، مثل: الحديد، الفسفور، الكالسيوم، المغنيسيوم، النحاس، الزنك.

وبينما يعتبر الفسفور والكالسيوم هامين في تعزيز وتقوية بنية العظام، فإن الحديد والزنك يلعبان دوراً محورياً في الحفاظ على قوة العظام ومرونة المفاصل.

وتستأثر العظام بما نسبته:

- ٩٩٪ من مخزون الكالسيوم في الجسم.
- ٦٠٪ من مخزون المغنيسيوم في الجسم.
- ٨٠٪ من مخزون الفسفور في الجسم.
- يساعد على زيادة مستويات الطاقة.

خفض ضغط الدم المرتفع

إن الحرص على التخفيف مما يتم تناوله من الصوديوم يومياً، هو أمر ضروري للحفاظ على مستويات ضغط الدم طبيعية. وتتميز الفاصوليا السوداء بمحتواها القليل جداً من الصوديوم.

كما أن غنى الفاصوليا السوداء بعناصر، مثل البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم، يجعلها تلعب دوراً مساعداً في خفض ضغط الدم المرتفع بشكل طبيعي.

السيطرة على السكري

وجدت الدراسات أن الأشخاص المصابين بمرض السكري من النمط الأول، والذين يتبعون حمية غذائية غنية بالألياف، تكون بالعادة مستويات سكر الدم لديهم منخفضة أكثر من غيرهم.

كما أن الفاصوليا السوداء قد تساعد المصابين بالسكري من النمط الثاني في تحسين مستويات السكر في الدم والأنسولين في الجسم.

ويحتوي كوب واحد من الفاصوليا السوداء على ما يقارب ١٥ غرام من الألياف، مع العلم أن الحصة الموصى بها يومياً من الألياف هي ٢٥ غرام.

الحماية من أمراض القلب

تساعد الفاصوليا السوداء في تعزيز صحة القلب خصوصاً، نظراً للأمور التالية:

- محتواها العالي من: الألياف، البوتاسيوم، الفوليك، فيتامين B6.
- خلوها من الكولسترول تماماً.

وتسهم هذه العوامل جميعها في خفض فرص الإصابة بالكولسترول وأمراض القلب عموماً، وذلك كما يلي:

- يساعد فيتامين B٦ على منع تراكم مركبات معينة في الجسم، قد تسبب تلف الأوعية الدموية ومشاكل في القلب.
- تحتوي الفاصوليا السوداء على مركبين هما يساعدان في:
- الحفاظ على انتظام حركة القلب.
- التقليل من فرص الإصابة بتصلب الشرايين.

مكافحة السرطان

تتميز الفاصوليا السوداء باحتوائها على معدن السيلينيوم، والذي لا يتواجد عادة في معظم أنواع الفواكه والخضار التي نعرفها، ويلعب السلينيوم دوراً في:

- مساعدة أنزيمات الكبد على تنظيف الجسم من بعض أنواع السموم المسببة للسرطان.
- إبطاء وتيرة نمو الأورام في الجسم.
- منع الخلايا السرطانية من التضاعف والتكاثر والانتشار في الجسم.

كما أن الألياف عموماً التي يتم الحصول عليها من البقوليات، مثل الفاصوليا السوداء، تسهم في خفض فرص الإصابة بسرطان القولون.

تعزيز الهضم

نظراً لمحتواها العالي من الألياف الغذائية، تساعد الفاصوليا السوداء على:

- منع حدوث إمساك.
- تنظيم عمليات الهضم وإخراج الفضلات.
- الحفاظ على صحة القناة الهاضمة عموماً.
- توفير الغذاء اللازم لبكتيريا الأمعاء المفيدة.

خسارة الوزن

تعتبر الألياف الغذائية عاملاً هاماً في عملية خسارة الوزن عموماً، إذ تساعد الأغذية الغنية بالألياف على:

- الشعور بالشبع لمدة أطول.
- كبح الشهية.
- التقليل من كمية السعرات الحرارية التي يتم تناولها يومياً.

وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن استهلاك أغذية نباتية غنية بالألياف مثل الفاصوليا السوداء:

- يقلل من فرص الإصابة بأمراض، مثل السمنة والسكري وأمراض القلب.
- يساعد على تعزيز صحة ومظهر البشرة والشعر.

أضرار الفاصولياء

قد يعاني البعض من حساسيّة الفاصولياء، ولذلك فإنّ الأشخاص الذين يُعانون من حساسيّة تجاه الأنواع المختلفة من البقوليات يُنصحون بإجراء فحص الحساسية قبل تناول الأطعمة المحتوية عليها، كما أنّ هناك بعض الآثار الجانبيّة الشائعة التي يمكن أن يسبّبها تناول الفاصولياء؛ كالغازات، واضطرابات الأمعاء؛ حيث يمكن تجنّب هذه الأعراض بسهولة من خلال نقع الفاصولياء بالماء الساخن، والتخلّص من ماء النقع، أو الماء المستخدم لسلقها، كما يمكن تناول الإنزيمات الهاضمة للمساعدة على هضمها، ومن الجدير بالذكر أنّ المصابين بمتلازمة القولون المتهيج عادةً ما يتّبعون نظاماً غذائياً قليل الفودماب الذي يمنع تناول بعض أنواع الكربوهيدرات مثل الفاصولياء لتخفيف الأعراض الناجمة عن المعاناة من هذه المتلازمة.[٥]

أضرار الفاصوليا الخضراء

تُصْبِح الفاصولياء الخضراء ضارّةً عند تناولها بكمياتٍ كبيرةٍ ولفتراتٍ طويلةٍ، وترتبط بالعديد من المحاذير والمشاكل الصحيّة، ومنها الآتي:[٦] يُجدر على الأشخاص الذين يتناولون مميعات الدم؛ عدم تغير كميات تناول الأطعمة المحتوية على فيتامين ك بشكلٍ مفاجىء؛ وذلك لأنّ هذا الفيتامين يلعب دوراً في تخثر الدم. يُعد الليكتين الموجود في الفاصوليا الخضراء نوعاً من البروتينات التي ترتبط بالكربوهيدرات؛ مما قد يسبب بعض المشاكل الهضمية، وتجدر الإشارة إلى أنّ طبخ الفاصوليا قد يقلل من مستويات الليكتين. يُمكن لحمض الفيتيك الموجود في الفاصوليا الخضراء أن يرتبط ببعض المعادن ويقلل من امتصاص الجسم لها.

الفاصوليا في كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**اللوبياء يطرد الرياح المستبطنة.**»[٧]

الهوامش:

1. Zawn Villines (30-11-2017), "What are the health benefits of beans?"، www.medicalnewstoday.com, Retrieved 2-9-2018. Edited.
2. Atli Arnarson (21-1-2015), "Kidney Beans 101: Nutrition Facts and Health Benefits", www.healthline.com, Retrieved 2-9-2018. Edited.
3. Annette McDermott (3-10-2016), "Green Beans: Nutrition Facts and Health Benefits"، www.healthline.com, Retrieved 18-12-2018. Edited.
4. Megan Ware (19-1-2018), "Everything you need to know about green beans"، www.medicalnewstoday.com, Retrieved 18-12-2018. Edited.
5. Kris Gunnars (21-4-2016), "Beans 101 - Cheap, Nutritious and Super Healthy"، www.healthline.com, Retrieved 26-12-2018. Edited.
6. Megan Ware (19-1-2018), "Everything you need to know about green beans"، www.medicalnewstoday.com, Retrieved 18-12-2018. Edited.

٧. «الكافي» (ط – الإسلامية)، ج ٦، ص ٣٤٤.

المصادر:

١. موقع الموضوع
٢. موقع ويب طب

دعوى أحمد إسماعيل السفارة

القسم الثاني

الشيخ أحمد سلمان

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في «الإكمال» بسنده عن **أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب**، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها **الشيخ علي بن محمّد السمري** رحمه الله، فحضره قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيع نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم.

يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توصي إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله ع وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: فنسخنا هذا التوقيع، وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: **من وصيك من بعدك؟**

فقال: **الله أمر هو بالغه.** ومضى له، فهذا آخر كلام سمع منه.[١]

كما يلاحظ القارئ العزيز أن كلام **أحمد إسماعيل** مشتمل على الطعن في سند الرواية، والتشكيك في حيثها، ومناقشة متنها، وإنكار دلالتها على تكذيب من يدعي السفارة، وقد تكفل مؤلف الكتاب بتوسيع البحث في الرواية بيان مقصود إمامه، ولنا على ما قاله عدة ردود:

أما قوله: توجد كثير من المناقشات لهذه الرواية، وهي كافية، ولذا فهم تركوها، وأعرضوا منذ زمن بعيد؛ لأنهم يعلمون أن الاحتجاج بها لا قيمة له.

فهو مردود بأن علماء الشيعة كانوا ولا يزالون يحتجون بهذه الرواية على انقطاع السفارة في الغيبة الكبرى، وعلى هذا اجتمع رأيهم، ولا تجد مخالفة منهم في هذه المسألة، وهذا كافي في اعتبار الرواية. وبهذا يتضح أن قوله: **ولذا فهم تركوها، وأعرضوا منذ زمن بعيد،** كذب متعمد، ويكفينا إثباتا لكذبه أنه لم يذكر كلام واحد من العلماء أعرض عن هذه الرواية ولم يعتمدها في الاستدلال على انقطاع السفارة في عصر الغيبة الكبرى.

وأما قوله: **فهي مطعون في سندها،** فهو غريب جدا؛ لأن أحمد إسماعيل وأتباعه يطعنون في علم الرجال، وينكرون مناقشة الأسانيد، ويمنعون رد الروايات حتى لو كانت ضعيفة؛ لأنها بزعمهم من كلام أهل البيت عليهم السلام، ورد كلامهم عليهم السلام جرم عظيم.

وكيف كان فإن أحمد إسماعيل لم يبين وجه ضعف سند هذه الرواية، ولكن أشار المعلق على كلامه إلى مواطن الضعف، فقال: وسبب ضعفها عندهم أحد أمرين: **الأول:** الإرسال، قال **المجلسي: إنه خبر واحد مرسل.**[٢] وكذا قال **الكاظمي** صاحب «بشارة الإسلام» **والثاني:** الضعف بأحمد بن الحسن المكتب كما صرحوا بذلك.[٣] وذكر **ضياء الزبيدي** نفس هذا الكلام في كتابه «قراءة جديدة في توقيع السمري».

والجواب على ما أوردوه: أن الحديث رواه **الشيخ الطوسي** رحمه الله في «الغيبة»، بهذا السند: وأخبرنا جماعة، عن **أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه** قال: حدثني **أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب،** قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ **أبو الحسن علي بن محمّد السمري** رحمه الله... إلى آخر الرواية.

ولا شك أن من حكم على الرواية بالإرسال نظر إلى رواية الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة فقط؛ لأن الجماعة الذين روى عنهم الشيخ الطوسي غير معروفين، ولكن من المعلوم أن من كان مثل الشيخ الطوسي علما ومعرفة بالرجال، لا يتوقع منه أن يروي مثل هذا الحديث المهم عن جماعة كلهم غير ثقات، مع أن نفس هذا الحديث رواه **الشيخ الصدوق** رحمه الله في كتاب «كمال الدين و تمام النعمة» مباشرة عن أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب،[٤] وهذا يدل على أن الجماعة الذين روى عنهم الشيخ الطوسي هذا الحديث كانوا ثقات صادقين.

ومن تدليسات هؤلاء الذين ضعفوا رواية السمري رحمه الله في من أتباع أحمد إسماعيل وتمويهاتهم أنهم نسبوا تضعيف هذه الرواية إلى الشيخ المجلسي رحمه الله في كتاب «بحار الأنوار»، مع أن الذي قال: **إن السند مرسل.** هو **الميرزا النوري الطبرسي** في كتابه «جنة المأوى» المطبوع في أواخر الجزء ٥٣، من بحار الأنوار.

والسبب في ذلك أن نسبة التضعيف إلى المجلسي و بنظر الشيعة أهم من نسبته إلى الميرزا النوري الطبرسي الذي يشنع على الشيعة بكتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب «رب الأرباب»)، وهذا من عدم أمانتهم العلمية كما لا يخفى.

فالقول بأن رواية السمري خبر آحاد صحيح نقر به، إلا أننا لا نقرهم على ما ذهبوا إليه من أن خبر الآحاد ليس بحجة في العقائد.

وهنا لا بد أن نلفت النظر إلى أمر مهم، وهو أن علماء الشيعة قموا العقائد إلى قسمين: أصول العقائد، وفروع العقائد، ولم يشترطوا التواتر إلا في أصول العقائد، كالنص على الأئمة مثلا، أما فروع العقائد كبيان أحوال الأئمة عليهم السلام ومقاماتهم، أو تفضيل الأئمة على الأنبياء عليهم السلام فلم يشترط فيها التواتر.

وانقطاع السفارة في الغيبة الكبرى ليس من الأمور التي يكون إثباته بنص متواتر، بل يكفي وجود نص واحد جامع لشروط الحجية.

أما **المناقشة الثالثة** في السند فهي ضعف أحمد بن الحسن المكتب، وقد ادعوا أن الرجل مجهول، بل مهمل، لا ذكر له في كتب الرجال!

والجواب: وبما أن هؤلاء القوم لا يقيمون وزنا لعلم الرجال ولا لأقوال الرجاليين، فإني أوجه كلامي إلى القراء الأعزاء المنصفين فأقول لهم:

إن التوثيقات على قسمين: توثيقات عامة، وتوثيقات خاصة، والتوثيقات المذكورة في كتب المتقدمين كالنجاشي، **والطوسي، وابن الغضائري،** وغيرهم رحمهم الله أسرارهم هي توثيقات خاصة، أما التوثيقات العامة فهي وجود أمارات و قرائن متى ما اجتمعت في راو محدد يركن الرجالي إلى وثاقته.

والراوي الذي حاولوا تضعيفه في هذا التوقيع لم يذكر فعلا في كتب الرجاليين المتقدمين، ولم يرد فيه توثيق خاص، ولكن ليس كل راو لم يرد فيه توثيق يجب طرح روايته، ولو كان الأمر كذلك لوجب طرح رواية الوصية التي أغلب رواتها غير موثقين كما بينا ذلك فيما تقدم.

والسبب في ذلك أن الراوي يمكن أن تستفاد وثاقته من أمور أخرى، كالترضي، مضافة إلى كونه من مشايخ الإجازة لبعض كبار علماء الطائفة، أو كثرة رواية بعض أعلام الطائفة عنه، وهكذا.

ويكفي في الدلالة على وثاقته أن **الشيخ الصدوق** رحمه الله ترضى عنه في أكثر من موضع من كتبه.

قال رحمه الله: حدثنا **محمّد بن موسى المتوكل** رحمه الله، و**محمّد بن محمّد بن عصام الكليني، وأبو محمّد الحسن بن أحمد المؤدب، وعلي بن عبد الوراق، وعلي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق،** قالوا: حدثنا **محمّد بن يعقوب الكليني**... الخ.[٥]

و**أبو محمّد الحسن بن أحمد المؤدب** هو نفس رواي حديث السمري رحمه الله.

قال **الشيخ عبد الله المامقاني : إنه لا يخفى عليك إمكان استفادة وثاقة الرجل – نوا على وثاقته أم لا – من أمور.**

إلى أن قال: ومنها: **ترحم الإمام عليه السلام على رجل، أو ترضيه عنه، أو نحو ذلك، فإنه لا يعقل صدور ذلك منه عليه السلام إلا بالنسبة إلى ثقة عدل، بل الترحم والترضي ونحوهما من المشايخ يفيد ذلك كما لا يخفى على الفطن اللبيب.**[٦]

وقد وثق الشيخ محي الدين المامقاني هذا الراوي فقال: **المعنون سواء كان حسنا أو حسين فهو عندي حسن أقلا، بل في أعلى مراتب الحسن، وكون رواياته معتبرة؛ لأنه شيخ للصدوق ، وأنه ممن تشرف بالتوقيع، ونال المثول لدى علي بن محمّد السمري، و كون رواياته سديدة، و قرائن أخرى، والله العالم.**[٧]

والنتيجة أن الرواية صحيحة السند لا إشكال فيها.

ومع الإغماض عن كل ما تقدم، وتسليم ضعف هذه الرواية، فلا شك ولا شبهة في أن العقل الصحيح يحكم على كل من ادعى السفارة، ولم يقم على ذلك دليلا صحيحا كما هو حال أحمد إسماعيل، بوجوب تكذيبه، ورد دعواه، وهذا لا يحتاج إلى رواية نحتج بها على كل من يدعي السفارة؛ لأن المناصب العظيمة لا بد أن تثبت بالأدلة القطعية، لا بلي النصوص، وبادعاء انطباقها على أحمد إسماعيل وأمثاله؛ لأن اسمه فقط أحمد!!

وأما قول أحمد اسماعيل: **إضافة إلى أن متنها متشابه، وفهمه عدة منهم بأكثر من فهم مختلف.**

فهو غريب من يدعي الإمامة والعصمة والوصاية والسفارة، كيف لا يفهم متن هذا الحديث مع أنه واضح جدا، يفهمه عوام الناس، وليست فيه جملة غامضة، وخصوصا العبارة التي تبطل دعوى أحمد إسماعيل، وهي: **وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر.**

ولو سلمنا أن هذا الحديث من المتشابه، فهل يرى أحمد إسماعيل أن الأحاديث والآيات المتشابهة ليست بحجة؟

فإن «القرآن الكريم» فيه آيات متشابهة كما قال سبحانه:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ»[٨]

فهل تسقط هذه الآيات عن الحجية؟

صغار طلبة العلم يعلمون أن الواجب هو رد المتشابه إلى المحكم، لا طرح المتشابه؛ لأنه حجة ثابتة، سواء أكان آية أم خبرا صحيحا، وهذا ما فعلناه مع رواية السمري رحمه الله لو سلمنا لهم جدلا وقلنا: **إنها متشابهة!**

والغريب زعمه أن عدة من العلماء فهموا الحديث بفهم مختلف، فلا ندري من هم هؤلاء العلماء الذين فهموا هذا الحديث بفهم مختلف؟ ولو سلمنا بذلك فهل كل حديث وقع الاختلاف في فهمه يسقط عن الحجية أيضا عند أحمد إسماعيل؟

ومن المعلوم أن الشيعة لم يختلفوا في فهم هذا الحديث،

ولهذا أجمعوا على القول بانقطاع السفارة في الغيبة الكبرى، وتكذيب كل من يدعيها. والظاهر أن أحمد إسماعيل التبس عليه فهم المراد به **المشاهدة** في الحديث، وهي وإن كانت ظاهرة في الرؤية البصرية، إلا أن العلماء حملوها على ادعاء السفارة والنيابة في عصر الغيبة.

قال **المجلسي** في التعليق على التوقيع: **لعله محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة، وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة، على مثال السفراء؛ لئلا ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام، والله يعلم.**[٩]

وقد يشكل البعض، فيقول: كيف حملتم المشاهدة على السفارة في حين أن المشاهدة لا تدل لغة على ادعاء السفارة، وإنما تدل على الرؤية البصرية، فليس كل من شاهد الإمام فقد ادعى السفارة، وعليه فالرواية لم يرد فيها نهي عن ادعاء السفارة.

والجواب: أنا لو سلمنا أن المراد بالمشاهدة هو الرؤية البصرية فتكذيب من يدعيها يستلزم تكذيب من يدعي السفارة بالأولوية؛ لأنه لن يكون سفيرة للإمام إلا إذا رآه والتقى به، ولو سلمنا أنه يمكن أن يكون سفيرة له من دون رؤيته، بأن يكلمه من وراء حجاب، فإن تكذيب من يدعي المشاهدة يستلزم أيضا تكذيب من يدعي ما هو أعظم منها وهي السفارة بالأولوية.

ومن الروايات الدالة على أن بعض الشيعة يمكن أن يلتقوا بإمام الزمان عليه السلام في زمان الغيبة الكبرى ما رواه الكليني رحمه الله: عن **إسحاق بن عمار** قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه.**»[١٠]

وما رواه أيضا: عن **علي بن أبي حمزة**، عن **أبي بصير**، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة.**»[١١]

أي أنه عليه السلام سينعزل، وسيكون معه ثلاثون شخصا، ومن كان معه هذا العدد فلن يشعر بالوحشة.

ومنها: ما رواه **النعماني**: عن **المفضل بن عمر الجعفي** عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.**»[١٢]

وروى الشيخ الصدوق يلي : عن **الحسن بن علي بن فضال**، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «**إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وإنه ليأتينا فيسلم، فنسمع صوته، ولا نرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة، فيقضي جميع المناسك، ويقف بعرفة، فيؤمن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته.**»[١٣]

أضف إلى هذا أنه رويت عشرات القصص التي تحكي فوز بعض علمائنا الأبرار بلقائه روحي فداه، والتشرف بخدمته، والاستفادة منه.

وبالجمع بين التوقيع وبين الأخبار التي ذكرناها يعرف أن المقصود من المشاهدة في التوقيع هي دعوى السفارة في عصر الغيبة الكبرى التي من لوازمها انقطاع النيابة الخاصة.

وأما قول أحمد إسماعيل: **إضافة إلى أنها غير مسورة، وهذا يطعن في كليتها عندهم، أم أن قواعدهم لعبة عندهم، إذا شاؤوا عملوا بها، وإذا لم يشاؤوا أوقفوا العمل بها؟!**

فهي محاولة من أحمد إسماعيل لكي يلعب في متن الرواية بجعل القضية جزئية، فيكون معناها أن بعض من يدعي المشاهدة فهو كذاب مفتر استنادا على القواعد المنطقية!

ومعنى كلامه أن قول الإمام عليه السلام: «**ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر**»، ليس مسؤرا، أي لم يذكر فيه السور، وهو الكلية أو الجزئية، فلم يقل: **كل من ادعى المشاهدة فكذبوه**، وعليه فإن كل قضية غير مسورة هي في حكم الجزئية، فيكون المعني: **بعض من يدعي المشاهدة كاذب**، وهذا لا يستلزم تكذيب أحمد إسماعيل؛ لأن الواجب تكذيب البعض لا الكل.

أقول: إن أحمد إسماعيل أخطأ في كلامه هذا خطأ فادحا، لا يقع فيه صغار طلبة العلوم الدينية فضلا عن شخص يدعي أنه على اتصال بصاحب العصر والزمان عليه السلام، بل يدعي الإمامة والعصمة!

وذلك لأنه خلط في كلامه بين القضية الحملية (وهي الجملة الخبرية)، والقضية الشرطية، فظن أن هذه القضية حملية، لا شرطية!

فسور القضية الشرطية يختلف عن سور القضية الحملية، فإن سور الشرطية الموجبة الكلية كما قال **الشيخ المظفر** في كتاب «المنطق»: **كلا، مهما، متى، ونحوها في الشرطية المتصلة.**[١٤]

وأشار بقوله: «ونحوها» إلى «من» و «ما» و«إذا» وغيرها. ولهذا نجد أن الجمل الشرطية التي ابتدأت با «من» مسؤرة، وتفيد الإيجاب الكلي، كما في قوله تعالى:

«**فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون**»[١٥] إذ لا يمكن لعاقل أن يقول: إن بعض المفترين على الله ظالمون، وبعضهم ليس كذلك.

وقوله تعالى:

«**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُون**»[١٦]

فإنه لا يمكن أن يقال: إن بعض من تبع هدي النبي صلى الله عليه وآله لا خوف عليه، وبعضهم الآخر يخاف عليه من ذلك.

وقوله سبحانه:

«**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فقد استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم**»[١٧]

فإن كل من كفر بالطاغوت و آمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، من دون استثناء.

والأمثلة من كتاب الله كثيرة جدا على أن القضية الشرطية المصدرة بـ«من» هي مسوّرة، وهي موجبة كلية، وكل عامي يعرف اللغة العربية فضلا عن العالم، إذا طرحت عليه قضية شرطية مصدرة بـ«من» سيفهم منها العموم، كأن يقول من فقد دابته: **من رد دابتي فله درهم**، فإن الجميع يفهم العموم والكلية، فهي في قوة: كل من رد دابتي استحق مني درهما، ولهذا يطالبه كل من رد دابته بأن يعطيه درهما.

لكن أحمد إسماعيل لا يفهم هذا المعنى رغم أنه كثيرا ما يكرر أنه أعلم الناس بكتاب الله عز وجل، وأنه مستعد للمناظرة فيه من باء البسملة إلى سين الناس، والحال أنه لا يعلم بديهيات الخطاب!

ولو فرضنا جدلا صحة تفسيره للرواية، بأن يكون معناها أن بعض من يدعي المشاهدة والسفارة لا تصدقوه، فحينئذ تدل الرواية على أن المدعين للمشاهدة قسمان: قسم صادق محق، وقسم كاذب مبطل، وعليه فإنه يلزم أحمد إسماعيل أن يثبت أنه من القسم الأول.

قال: «**أم أن قواعدهم لعبة عندهم، إذا شاؤوا عملوا بها، وإذا لم يشاؤوا أوقفوا العمل بها.**»

وهذا كلام يضحك الثكلى؛ لأن علم المنطق الذي أطلق عليه أنه من قواعدنا، هو علم من العلوم الإنسانية غير المخصوصة بالشيعة، ويلزم أحمد إسماعيل أن يتعلم أولا قواعد اللغة العربية، وعلم المنطق، وعلم أصول الفقه، وعلم الرجال، ثم يسعى بعد ذلك لإبطالها أو القدح فيها، أما أن يكون جاهلا مدقعا بكل هذه العلوم، ثم يعيبها، ويحكم ببدعتها فهذا غير مقبول بحال.

و قواعد علم المنطق نعمل بها دائما، لا إذا شئنا عملنا بها، وإذا شئنا تركناها، وكما لاحظ القارئ العزيز أننا طبقنا قواعد علم المنطق، وأثبتنا أن القضية موجبة كلية، وأثبتنا أن إحمد إسماعيل ظن أننا لم نعمل بقواعد المنطق لأنه – مع شديد الأسف – ضعيف فيها!!

وأما قول أحمد إسماعيل: «**إضافة إلى أنها منقوضة بعدة روايات وأحاديث، منها: رواية اليماني، وما حدث مع الشيخ المفيد من رسائل.**»

فهو كلام غريب جدا؛ لأن رواية اليماني لا تنقض رواية تكذيب مدعي المشاهدة بأي نحو، ولأن أحمد إسماعيل لايعرف قواعد المنطق التي هي قواعد للتفكير الصحيح، توهم وجود تناقض بين هذه الروايات.

وكان على أحمد إسماعيل لو كان صادقا أن يبين وجه التناقض المزعوم، ونحن حددنا معنى المشاهدة بدعوى السفارة في زمان الغيبة الكبرى، ومكاتبة الإمام عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله لا تعني تعيينه سفيرا ونائبا، بل إنها ضرب من التشريف بالمكاتبة، وهذا لا مانع منه، بل نحن لا نمنع كما مر من رؤية الإمام عليه السلام والالتقاء به كما حصل مكررة مع جمع من علمائنا، علما أن الشيخ المفيد نفسه ذكر في كتبه في أكثر من مورد أنه لا سفارة في الغيبة الكبرى، فقال: وله قبل قيامه غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى منها فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأما الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف.[١٩]

أما روايات اليماني والتي سنناقشها في معرض ردنا على دعوى أحمد إسماعيل أنه اليماني فلا معارضة بينها وبين توقيع السمري.

أولا: لأنه لا دليل على أن اليماني سيكون سفيرة للأمام كما سنبين لاحقا إن شاء الله تعالى.

وثانيا: أن حركة اليماني ستكون بعد الصيحة، والتوقيع حدد تكذيب مدعي المشاهدة بالفترة الممتدة بين موت السمري، وظهور السفياني والصيحة.

والنتيجة أن كل ما ذكره أحمد إسماعيل في الرد على هذا التوقيع المبارك لا يعدو كونه مجرد كلام ركيك ينطلي على الجهال، وكل منصف يرى أنه لم يستطع رد الاستدلال برواية السمري على انقطاع السفارة في زمان الغيبة الكبرى، وعلى تكذيب كل من يدعيها قبل الصيحة وظهور السفياني، وبهذا التوقيع تبطل دعوة أحمد إسماعيل من أساسها.

الهوامش:

١. «كمال‌الدين و تمام النعمه»، ص ٥١٦.
٢. «بحار الأنوار»، ج ٥٣، ص ٣١٨.
٣. «مع العبد الصالح»، ص ٣٠، في الهامش.
٤. «كمال‌الدين و تمام النعمه»، ص ٥١٦.
٥. «عيون اخبارالرضا عليه السلام»، ج ١، ص ١٨٧.
٦. «الفدائد الرجالية من تنقيح المقال في علم الرجال»، ج ٢، ص ٢٨٠.
٧. «تنقيح المقال»، ج ١٨، ص ٣٥٣.
٨. سورة آل عمران، الآية ٧.
٩. «بحارالانوار»، ج ٥٢، ص ١٥١.
١٠. «الكافي»، ج ١، ص ٣٤٠.
١١. نفس المصدر.
١٢. «الغيبة للنعماني»، ص ١٧٦.
١٣. «كمال‌الدين و تمام النعمه»، ص ٣٩١.
١٤. «المنطق»، ج ١، ص ١٦٠.
١٥. سورة آل عمران، الآية ٩٤.
١٦. سورة البقره، الآية ٣٨.
١٧. نفس المصدر، الآية ٢٥٦.
١٨. «الارشاد»، ج ٢، ص ٣٤٠.

المصدر: الشيخ أحمد سلمان، «الشهب الأحمدية على مدعي المهدوية»، الطبعة الاولى، ١٤٣٣هـ، ص ٩٠–١٠٨؛ بالتلخيص.

إنه عصر الظهور

صالح الطائي

ولكي نكون منطقيا في قولي هذا وليس مخالفا للنهي عن التوقيت الذي جاء عن أهل البيت عليهم السلام نقول:

جاء في «حفر الإمام علي عليه السلام» قال:

«يعلو هيكل إسرائيل قبل حكم الله فيهم، ويجعلونه حجر مغناطيس يجلب إليهم الشتيت والهارب والتاجر وصاحب الذهب والصحائف. ألف ألف يهودي، عدوا مثلها ستاً، يتم وعد القدر الحتم معها.»[1]

شرح المعاني:

• المقصود بقوله عليه السلام «هيكل إسرائيل»: هو الدولة العبرية في «فلسطين» المحتلة وليس هيكل سليمان الحقيقي كما يتوهم بعضهم ومنهم الكاتب نفسه.

• والمقصود بقوله عليه السلام «ألف ألف»، أي:

١,٠٠٠,٠٠٠=١,٠٠٠×١,٠٠٠ مليون نسمة.

• وبقوله عليه السلام «عدوا مثلها ستاً»، أي اضربوا

٦,٠٠٠,٠٠٠ =٦×١,٠٠٠,٠٠٠ مليون نسمة.

أي احسبوا لغاية أن يصبح عددهم ستة ملايين يهودي فإذا اكتمل عددهم ستة ملايين يهودي في فلسطين وحدها وليس في العالم كله، يأتي وعد الله الحتم.

ومعنى الحديث:

أن عدد اليهود إذا بلغ ستة ملايين في (هيكل إسرائيل) أي (دولة إسرائيل) وليس في العالم كله، سوف يتم حكم الله فيهم ويأتي القدر الحتم الذي لا مبدل له، أي خروج القائم المنتظر عجل الله فرجه الذي يقود المسلمين لقتالهم حتى يشهد عليهم الحجر والشجر كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكي تكون الصورة واضحة ما دمنا نتكلم بلغة الأرقام والإحصاءات نقول:

لقد جاء في إحصاء أصدره مكتب الإحصاءات الإسرائيلي المركزي في مايس عام ٢٠٠٨م. أن عدد سكان إسرائيل يبلغ الآن ٧,٢٨٢,٠٠٠ نسمة. منهم اليهود الذين يبلغ عددهم ٥,٤٩٩,٠٠٠ نسمة.

أما العدد الباقي والبالغ ١,٧٨٣,٠٠٠ فيمثل الفلسطينيين (المسلمين والمسيحيين) المقيمين في حدود الدولة، ومن لم يسجل يهودياً في وزارة الداخلية الإسرائيلية[2] مع لحاظ أن معدل النمو السنوي في إسرائيل بحسب مركز الإحصاء ١,٨٪ وهو معدل ثابت منذ ٢٠٠٣م. لذا لا بأس من اعتماد إحصاء عام ٢٠٠٨م. نظراً لقلة التبدلات الحاصلة وهي التي يبينها التقرير الذي أصدره المكتب بمناسبة نهاية العام ٢٠١١م. من أن عدد سكان إسرائيل تجاوز ٧.٨ مليون نسمة. ووفقا لوزارة الداخلية، يوجد في إسرائيل سبعة ملايين و ٨٣٦ ألف نسمة، من بينهم ٥,٩٠١,٠٠٠ ألف يهودي (٧٥,٣٪ من مجموع عدد السكان) ومليون و ٦١٠ آلاف عربي (٢٠.٥٪ من عدد السكان) و ٣٢٥ ألف شخص ليسوا يهودا ولا عربا (٤.٢٪).

ألا يعني هذا أننا قد نكون أقرب إلى عصر الظهور مما نتوقع ولاسيما أنّ عدد اليهود في فلسطين المحتلة قريب الوصول لعدد البشارة التي أخبرنا بها الإمام عليه السلام؟

إنّ الكثير من علماء الدين العارفين يتحدثون عن الظهور بتفاؤلية يقينية حتى إنّ أحدهم قال قبل عدة سنوات:

ذكرت مرة علامات حتمية وغير حتمية لظهور الإمام عجل الله فرجه لكن إن قيل سيظهر الإمام غداً فلا يستبعد ذلك.[3]

لكنه بعدما توفرت لديه بعض الدلائل الجديدة عاد بعد مدة وجيزة جدّا ليقول:

كنا نبشر الشباب بأنهم سيدركون ظهور بقية الله الأعظم عجل الله فرجه إلا أني أبشر الآن الكهول أنهم سيشهدون عصر الظهور.[4]

وقال فاضل آخر:

إذا قيل لكم إنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه يقف خلف الباب فلا تكذبوه.

وربما بسبب هذه الروح التفاؤلية والهمّة الانتظارية التي تربطنا بالمهدي عجل الله فرجه والمهدوية يتهمنا البعض بأننا لا نقوم بأيّ عمل سوى انتظار المهدي الذي شغلنا حتى عن الصلاة، ومنهم من يقول في أوقات الصلاة دائمة، لا يصلي خشية أن يخرج [أي المهدي عجل الله فرجه] وهو في الصلاة فينشغل بها عن خروجه.[5]

إنّ اختفاء الكمّ الأكبر من أحاديث المهدي عجل الله فرجه وعلامات نهضته وخروجه من مناهج بعض الفرق الإسلامية؛ سواء عن قصد وسبق إصرار أم عن جهل وتهاون لم يسمح للأمة بفهم المهدوية على حقيقتها كما فهمها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، مما لم يشعرهم بأهميتها وعظمتها بشعور أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نفسه، ومن يرجع إلى كتب الحديث يجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أفاض في حديثه عنها في أكثر من مناسبة، حتى إنه كان يحبس الناس عن أعمالهم وشؤون أسرهم التي قال إنها «الجهاد الأعظم» ليحدثهم عن الفتن التي تصيب الأمة بعد وفاته وعلامات ظهور المهدي عجل الله فرجه بما فيها مراحل ما قبل الظهور، وقد تمتدّ هذه المحاضرات على مدى نهار كامل بطوله.

وحديثاً يمتد لأكثر من اثني عشرة ساعة متواصلة لابد أن يكون قد شمل كل مساحة الشأن المهدوي بما فيه قيادة الأكوان، ولا بد أنه من الأهمية الكبرى أن يقضي رسول الله صلى الله عليه وآله كل هذا الوقت الطويل بالحديث في شأنه في سابقة لم نسمع عن حالة مشابهة لها في تاريخ البعثة المشرفة كله. لكن وللأسباب التي ذكرناها من قبل لم تعطَ هذه الحادثة الجلل حقها الطبيعي، ولم تسلط عليها الأضواء الكاشفة، ولم تحظ بعناية الدارسين، بل حدث العكس حين طمس الجزء الأكبر من حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ألقاه فيهم ولم يبق منه سوى تلك الأحاديث العامة التي يستفاد من بعضها أن دولة المهدي تعمر سبع سنين، ثم يأتي بعدها الشر ويعم الأرض. ولذلك بات أمر من يأتي بأحد مصاديقها الخافية محفوفاً بالمخاطر، وحديثه عنها عرضة للتكذيب من المسلمين قبل غيرهم.

عليه لا ندري إن كان طرح هذا الموضوع قد جاء في وقته المناسب، أم إنه جاء متعجّلا دونما مقدمات، ولا سيما أنه ورد في المأثور أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام أوصى **حذيفة بن اليمان** الصحابي الجليل الذي اختصت برواية أحاديث الفتن وقصص آخر الزمان، وهو الذي كان بعض الصحابة والتابعين يستغربون من غرابة ما يحدثهم به عن فتن آخر الزمان فيقول لهم:

«والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله أسرّ إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله قال وهو يحدث مجلساً: «أنا فيه عن الفتن.»[6]

ورد ذلك في قوله الشريف مخاطبا حذيفة:

«يا حذيفة لا تحدث الناس بما لا يعرفون فيطغوا أو يكفروا. إنّ من العلم صعباً مستصعباً محمله، لو حملته الجبال عجزت عن حمله. إن علمنا أهل البيت مستنكر يبطل ويقتل راويه ، ويساء إلى من يتلوه بغياً وحسداً.»[7]

لذا نرجو أن يكون التفتح الذهني والتطور العلمي سواء من حيث تطور علوم الفضاء أو علوم الحاسوب والاتصالات والعلوم الأخرى، أو من حيث تفتح أذهان المسلمين الآن وانفتاحها على العلوم المختلفة قد هيأ إنسان القرن الحادي والعشرين لتقبل هذه الأطروحات الجديدة والاقتناع بما تأتي به بل والإيمان بمحتواها بعد أن لمس هذا الإنسان حقائق لم يكن يأمل الوصول إليها حتى في الأحلام، ولاسيما أن هذه الأطروحات مستقاة من مصاديق عقلية ونقلية لا يستهان بها ولا يشك بصدقها ومتانتها. ثم إنّ هذا الموضوع برمّته يصبّ أصلا في جانب تقوية الاعتقاد بالغد الإسلامي المشرق الذي كنا جميعا ننتظره منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً قضاها الصحابة والفضلاء والسلف والأجداد والآباء والمعاصرون في انتظار الفرج الذي سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا.

وآخر ما نريد قوله هو أننا بوصفنا مسلمين ظلمنا الفكر المهدوي والعقيدة المهدوية على مر التاريخ، وقد آن لنا اليوم ونحن نشعر في ضمائرنا وعقولنا ووجداننا بقرب الظهور المقدس أن نعيد إلى هذه العقيدة المظلومة مكانتها ، وأن نحول انتظارنا إلى رابطة جمعية تجمع المسلمين تحت خيمة الأمل بالغد المشرق السعيد، إن شاء الله.

الهوامش:

١. «المفاجأة»، محمد عيسى داود، ص ٣٢٣.
٢. موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية على شبكة الانترنيت ٧ مايو ٢٠٠٨م.
٣. القول للمرحوم الشيخ بهجت وقد ورد في كتاب «المهدي الموعود»، ص ٧٧.
٤. المصدر نفسه، ص ٧٨.
٥. «منهاج السنة النبوية»، ابن تيمية، الجزء ١، صص ٤٤-٤٥.
٦. مسلم، حديث ٢٨٩٢، ص ١٢١٣، باب الفتن.
٧. «المفاجأة»، محمد عيسى داود، ص ٣٤٠.

المصدر: الطائي، د. الصالح، «عوالم الحكومة المهدوية»، بيروت، شركة العارف للأعمال، ط ١، ٢٠١٢م.

إسماعيل شفيعي سروستاني

صلة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة المال

لقد خصص الباحثون في بعض الكتب المهدوية، فصلا مسهبا لتكليف المنتظرين، وعددوا تحت هذا العنوان، التكاليف الفردية والجماعية للمؤمنين وتحدثوا عن الصلة وبذل المال في سبيل الامام.

وعبرت الروايات عن هذا العمل كونه مستحبا ومؤكدا وفريضة ومصداقا خاصا للقرض الحسن. روي **الشيخ الكليني** في كتابه «الكافي» باسناده عن **المفضل بن عمر** عن **الخيبري** و **يونس بن ظبيان** قالا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«ما من شيء أحب إلي الله من إخراج الدراهم إلي الإمام و إن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل جبل أحد.»**

ثم قال عليه السلام: **«إن الله تعالي يقول في كتابه «مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَةً.»**[١]

قال عليه السلام: **«هو و الله في صلة الإمام خاصة.»**[٢]

روي في «بحارالانوار» و «تفسير البرهان» عن العياشي باسناده عن مفضل بن عمر قال: دخلت علي أبي عبدالله عليه السلام يوما و معي شيء فوضعته بين يديه.

فقال عليه السلام: **«ما هذا؟»**

فقلت: **هذه صلة مواليك و عبيدك.**

قال فقال لي عليه السلام: **«يا مفضل إني لأقبل ذلك و ما أقبل من حاجة بي إليه و ما أقبله إلا ليزكوا به.»**

ثم قال عليه السلام: **«سمعت أبي عليه السلام يقول من مضت له سنة لم يصلنا من ماله قل أو كثر لم ينظر الله إليه يوم القيامة إلا أن يعفو الله عنه.»**

ثم قال عليه السلام: **«يا مفضل إنها فريضة فرضها الله علي شيعتنا في كتابه إذ يقول «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون»**[٣] **فنحن البر و التقوي و سبيل الهدي و باب التقوي لا يحجب دعاؤنا عن الله اقتصروا علي حلالكم و حرامكم فسلوا عنه و إياكم أن تسألوا أحدا من الفقهاء عما لا يعينكم [يعنيكم] و عما ستر الله عنكم.»**[٤]

وتعني الصلة، العطية والبر والترابط والإرتباط والرابطة والعلاقة، ويقصد بها، الجهد الذي يرمي لحفظ التواصل والمرابطة مع الحجة وولي الله. إن حضرة باب الله وسبيل الله، يوفر عن طريق العطية والمنحة، ولكونه يملك مقام باب الله، جميع إمكانات نيل المؤمنين لمقام الأبرار.

عن الحسن بن موسي قال روي أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله تعالي **«وَ الَّذينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَل.»**[٥]

قال عليه السلام: **«هو صلة الإمام في كل سنة مما قل أو كثر.»**

ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: **«و ما أريد بذلك إلا تزكيتكم.»**[٦]

ويجب بالضرورة، توثيق جميع أواصر الترابط مع الإمام بإحكام، والوصول عن طريق الصلة إلى تلك الدرجة من الطهر، لتتوافر جدارة الإتصال والتقرب إلى ذلك الوجود الشريف، وألم يقل سبحانه وتعالى:

«لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون.»[٧]

لا يلمس القرآن الصامت والناطق، إلا اذاكان في فئة الطاهرين والمطهرين.

روي عن **إسحاق بن يعقوب** قال: سألت **محمّد بن عثمان العمري** عليه السلام أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«[....] و أما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا فمن شاء فليصل و من شاء فليقطع فما آتاني الله خير مما آتاكم...»[٨]

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ٢٤٥.
٢. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ١، ص ٥٣٧.
٣. سورة آل‌عمران، الآية ٩٢.
٤. المجلسي، محمّد باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ .ق.، ج ٩٣، ص ٢١٦ و البحراني، السيّد هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، قم، الطبعة الاولى، ١٣٧٤ هـ .ش.، ج ١، ص ٦٥٣؛ به نقل از العياشي، محمّد بن مسعود، «تفسير العياشي»، تهران، الطبعة الاولى، ١٣٨٠ هـ .ق.، ج ١، ص ١٨٤.
٥. سورة الرعد، الآية ٢١.
٦ . المجلسي، محمّد باقر، «بحار الأنوار»، ج ٩٣، ص ٢١٦؛ به نقل از العياشي، محمّد بن مسعود، «تفسير العياشي»، ج ٢، ص ٢٠٩.
٧. سورة الواقعه، الآية ٧٩.
٨. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «كمال‌الدين و تمام‌النعمه»، تهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ٢، ص ٤٨٣.

السيدمحمدالصدر

في المـــنجزات القضائية والعبادية والفقهية

ونتكلم عن ذلك في عدة جهات:

في سرد الأخبار الدالة على هذه المنجزات

أخرج في «البحار»،[١] عن **أبي عبيدة**، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا قام قائم آل محمّد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل الناس بينة**»، وأخرجه، في «الوسائل»[٢] بلفظ مقارب.

وأخرج **النعماني**،[٣] عن **أبان بن تغلب** قال: كنت مع جعفر بن محمّد عليهما السلام في مسجد «مكة» وهو آخذ بيدي، فقال: «**يا أبان، سيأتي الله بثلاثمئة وثلاثة عشر رجلا في مسجدكم هذا...**» – إلى أن قال: – «**ثم يأمر مناد فينادي: هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان، لا يسأل عن ذلك بينة.**» وأخرجه **الصدوق** في «إكمال الدين» أيضا.[٤]

وأخرج **النعماني**،[٥] عن أبان أيضا، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، أنه قال: «**ويبعث الله الريح من كل واد تقول: هذا المهدي يحكم بحكم داود، ولا يريد البينة.**»

وهناك أخبار أخرى حول هذا القضاء، رويناها في الفصل الخاص بالتمحيص، فراجع.

وأخرج في البحار[٦] عن «الكافي»، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**أول ما يظهر القائم عجل الله فرجه من العدل أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الأسود والطواف.**»

وروى أيضا عن الكافي، بإسناده عن **عمرو بن جميع**، قالت: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصلاة في المساجد المصورة، فقال: «**أكره ذلك، ولكن لا يضركم اليوم، ولو قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك.**»

وقال في البحار: روى في كتاب «مزار»[٧] لبعض أصحابنا، عن **أبي بصير**، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «**يا أبا محمّد، كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة، بأهله وعياله.**»

قلت: **يكون منزله، جعلت فداك؟**

قال عليه السلام: «**نعم...**»

قلت: **جعلت فداك، لا يزال القائم فيه أبدا؟**

قال عليه السلام: «**نعم.**»

قلت: **فمن بعده؟**

قال عليه السلام: «**هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق.**»

قلت: **فما يكون من أهل الذمة عنده؟**

قال عليه السلام: «**يسالمهم، كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون...**»

وروي أيضا،[٨] عن **السيد علي بن عبد الحميد**، بإسناده إلى **أحمد بن محمّد الأيادي**، يرفعه إلى **إسحاق بن عمار**، قال: سألته عن إنظار الله تعالى **إبليس** وقتا معلوما ذكره في كتابه، فقال: «... **فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.**[٩]

قال عليه السلام: «**الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه، فيقول يا ويلاه من هذا اليوم!**» فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم منتهى أجله.

وقد سبق أن روينا هذا الخبر، وأجلنا الحديث فيه إلى هذا الفصل؛ ومن أجل هذا كررناه.

وروي في البحار أيضا،[١٠] عن بعض مؤلفات أصحابنا، بإسناده عن **المفضل بن عمر**، قال سألت سيدي الصادق عليه السلام: **هل للمأمور المنتظر المهدي عجل الله فرجه من وقت معلوم يعلمه الناس؟** – وهو حديث طويل يقول فيه –: قال المفضل: قلت: **يا سيدي، فأين يكون دار المهدي ويجتمع المؤمنون؟**

قال عليه السلام: «**دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته، الذكوات البيض بين الغريين.**»

قال المفضل: **يا مولاي، كل المؤمنين يكونون في الكوفة.**

قال عليه السلام: «**إي والله، لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها، وليبلغن مجالة فرس منها ألفي درهم... وليصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلا، وليجاورن قصورها كربلا، وليصيرن الله كربلاء معقلا ومقاما، تختلف فيه الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن من الشأن...**»

وروى **الحر** في الوسائل،[١١] بإسناده عن **الحسين الشيباني**، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: **رجل من مواليك يستحل مال بني أمية ودمائهم، وأنه وقع عنده وديعة.**

فقال عليه السلام: «**أدوا الأمانة إلى أهلها وإن كان مجوسا؛ فإن ذلك لا يكون حتى قام قائمنا فيحل ويحرم.**»

وأخرج **الصدوق** في «إكمال الدين»،[١٢] بسنده عن **أبان بن تغلب**، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**دمان في الإسلام حلال من الله عز وجل، لا يقضي فيهما أحد بحكم الله عز وجل، حتى يبعث الله القائم عجل الله فرجه من أهل البيت، فيحكم بحكم الله عز وجل فيهما، لا يريد فيه بينة: الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب رقبته (عنقه).**»

إلى غير ذلك من الأخبار التي لا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

أقول: إن أكثر الأخبار، بصفتها أخبارا مفردة، غير قابلة للإثبات التاريخي، وخاصة ما نقلناه عن البحار؛ فإن فيه ما هو مجهول ومرسل ومرفوع. فالعمدة في تصحيحها مطابقتها للقواعد والقرائن، ولكننا سنتحدث الآن عنها كما لو كانت كافية للإثبات، لعدم قيام القرائن على بطلانها على أي حال.

في الحديث عن قضاء المهدي عجل الله فرجه الشريف

وقد تحدثنا عن ذلك مفصلا، وإنما بقيت هناك نقطتان لم يكن المجال لإيضاحهما متوفرا، فنتحدث عنهما الآن.

النقطة الأولى: في معنى قضاء سليمان عليه السلام، فإننا لم نذكره من بين أساليب الأنبياء للقضاء فيما سبق، وقد ورد في هذه الروايات ذكره.

هو ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

«**وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِين...**»[١٣]

وهذه الآية لم تذكر الحكم الذي حكم فيه سليمان عليه السلام طبقا لتفهيم الله عز وجل، ولكن ذكرته السنة الشريفة في عدة أخبار.

منها: ما روي[١٤] عن **أبي بصير**، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «**وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث...**»، قلت: **حين حكما في الحرث كانت قضية واحدة؟**

فقال عليه السلام: «**إنه كان أوحى الله عز وجل إلى النبيين قبل داود – إلى أن بعث الله داود –: أي غنم نفشت في الزرع، فلصاحب الحرث رقاب الغنم، فلا يكون النفش إلا بالليل، فإن على صاحب الزرع أن يحفظه بالنهار، وعلى صاحب الغنم في الليل، فحكم داود عليه السلام بما حكمت به الأنبياء عليهم السلام من قبله.**

وأوحى الله عز وجل إلى سليمان عليه السلام: أي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنة بعد سليمان، وهو قول الله عز وجل: «وَ كُلاً آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْما»،[١٥] فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل.»

والمستفاد من هذا الخبر وغيره، أن اعتداء الغنم على الحقل، إن كان بالنهار فلا ضمان على صاحب الغنم؛ لأن صاحب الحقل هو الذي يجب عليه حفظ حقله في النهار، فإذا اعتدت غنم غيره عليه كان هو مقصرا، ولا يضمن له صاحب الغنم شيئا، وأما اعتداء الغنم في الليل فهو مضمون على صاحب الغنم؛ لأنه يجب عليه حفظ غنمه من الاعتداء على الآخرين أثناء الليل، فإذا لم يمنعها كان مقصرا وعليه الضمان، وكان الاعتداء في القضية التي عرضت على داود وسليمان عليهما السلام، اعتداء ليليا، فكان صاحب الغنم ضامنا لما أتلفه غنمه، ولكن ماذا يجب أن يدفع صاحب الغنم إلى صاحب الحقل؟ إن في ذلك ثلاث احتمالات:

١. أنه تقدر قيمة التالف من الزرع، ويأخذ صاحبه من النقود بقدر هذه القيمة.

وهذا صحيح، إلا أن النقود لم تكن موجودة في ذلك العهد، بل كانت المبادلة كلها بين الناس باعتبار العروض نفسه، فكان هذا الاحتمال مما لا يمكن العمل به يومئذ.

٢. أنه تقدر قيمة التالف في الحقل، ويأخذ صاحبه بقدر قيمته من العروض، مما يملكه صاحب الغنم.

وأقرب شيء يأخذه صاحب الحقل هو ما أنتجته الغنم المعتدية نفسها من حليب وولد وغيره، وهذا هو الذي حكم به النبي سليمان عليه السلام، طبقا لتفهيم الله عز وجل... كما يقول الخبر.

٣. إن صاحب الغنم يدفع إلى صاحب الحقل الغنم المعتدية نفسها، أما – كلها – كما هو ظاهر الخبر – وأما بعضها بمقدار قيمة التالف، وهذا هو الذي حكم به داود عليه السلام، طبقا لأحكام الأنبياء السابقين، كما يقول الخبر.

وكان الحكم العادل، المطابق مع المستوى التربوي للبشرية يومئذ، هو ما قاله النبي سليمان عليه السلام.

في المبررات الكافية لاتخاذ المهدي عجل الله فرجه الشريف أساليب قضاء سليمان وداود عليهما السلام

والمستفاد من مجموع الأخبار، أن اتخاذ المهدي عجل الله فرجه الشريف لقضاء

سليمان أمر مؤقت، شأنه في ذلك شأن قضاء آدم ونوح وإبراهيم، التي سمعنا أن المهدي عجل الله فرجه يسير على طبق كل واحد منها مرة أو أكثر؛ من أجل تمحيص الأمة، ولكن اتخاذ المهدي لقضاء داود أمر مستمر ومعتاد بالنسبة إليه، فهل هذا صحيح؟ وكيف يكون ذلك؟

وليس المراد بقضاء داود عليه السلام حكمه في قضية الحقل التي حكم بها ولده سليمان عليه السلام، بل أسلوبه العام في أنه يقضي بدون أن يطلب من المدعي بينة على مدعاه.

وينبغي أن يقع الحديث في نقطتين:

النقطة الأولى: في المبررات الكافية لاتخاذ المهدي عجل الله فرجه قضاء سليمان عليه السلام

يمكن أن نذكر لذلك مبررين:

١. إن قضاء سليمان عليه السلام مطابق للقواعد الإسلامية نفسها، فإنه بعد أن يثبت اعتداء الغنم على حقل الغير، يكون صاحب الغنم ضامنا لصاحب الحقل قيمة ما اتلفته الغنم من الزرع، وهذا صحيح واضح في القواعد الإسلامية، وهو مما أخذه سليمان وداود عليهما السلام مسلما أيضا، وإنما اختلفت الأحكام فيما يمثل هذا الضمان الذي يدفعه صاحب الغنم كما قلنا في الاحتمالات الثلاث السابقة.

فبينما يبدو للفرد المعاصر لعصر النقود والعملات الورقية، أن الضمان يجب أن يكون متمثلا بها، لم يكن هذا واضحا ولا مفهوما للمجتمع المعاصر لسليمان وداود عليهما السلام؛ لانعدام العملة عندهم.

ومن الصحيح إسلاميا، أن الضمان في العصر الحاضر إنما يكون بالنقود والعملة بوجه عام، ولكن الصحيح إلى جانب ذلك أنه يمكن دفع العين أو العروض بدلها أحيانا، كما لو اتفق الدائن والمدين على ذلك، وكما لو أمر بذلك الحاكم الإسلامي الأعلى نفسه.

إذا؛ فالفرق بين حكم سليمان وحكم الإسلام فيما يمثل الضمان، فإذا حكم المهدي عجل الله فرجه بحكم سليمان عليه السلام، فقد أمر ضمنا – بصفته حاكما إسلاميا أعلى – بتحويل الضمان من النقد إلى العروض، فيكون هذا جائزا وملزما للمدين.

وأما التفريق بين الاعتداء في الليل والاعتداء في النهار، فلا يكون في هذه المسألة منشأ للفرق بين حكم سليمان وحكم الإسلام فيها؛ لأنه كان اعتداء ليليا مضمونا في حكمه، وهو مضمون في الإسلام أيضا.

نعم، لو كان الاعتداء في النهار، لكان منشأ للفرق الحقيقي، إلا أن المهدي عجل الله فرجه سيحكم بالضمان كما حكم سليمان بالضمان.

٢. إننا لو تنزلنا – جدلا – عن المبرر الأول، وفرضنا أن حكم سليمان عليه السلام غير صحيح إسلاميا، فعندئذ يكفي في صحته بالنسبة إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه ما كفى بالنسبة إلى اتخاذه أساليب قضاء الأنبياء الآخرين، كآدم ونوح، وقد أعطينا لذلك المبررات الكافية في الفصل السابق فراجع.

هذا، والمهدي عجل الله فرجه أولى بالناس من أنفسهم وأموالهم، وله أن يعمل ما هو الأصلح على كل حال، شأنه في ذلك شأن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله نفسه، كما هو ثابت بضرورة الدين.

النقطة الثانية: في المبررات الكافية لاتخاذ المهدي عجل الله فرجه قضاء داود عليه السلام

يمكن أن نقدم لذلك ثلاثة مبررات بحسب فهمنا المعاصر:

١. **التمحيص والامتحان**، الذي هو المبرر العام لاتخاذ المهدي أيا من أساليب قضاء الأنبياء السابقين، على ما عرفنا... إلى جانب مصالح أخرى عامة عرفناها.

وهذا المبرر يكتسب إثباته التاريخي، بشكل رئيسي، ومن الظن بأن الإمام المهدي عجل الله فرجه حين يحكم في قضية بحكم النبي داود عليه السلام سوف لن يصرح بأن هذا من ذاك، ولن يوضح أنه حكم بعلمه مطابقا للواقع، وإن خالف القواعد القضائية العامة؛ ومن هنا يكون مثارا للاحتجاج، وهو محك التمحيص.

غير أن هذا صحيح في العدد القليل من القضايا التي يتخذ فيها المهدي عجل الله فرجه هذا الأسلوب القضائي؛ إذ تكون صفته صفة اتخاذه لأساليب القضاء الأخرى، مرة مرة، وهي التمحيص، غير أن المستفاد من الروايات استمرار ديدن المهدي عجل الله فرجه على ذلك في كثير من القضايا. ومعه؛ يكون اتخاذ هذا الأسلوب لأول مرة محكا للتمحيص، وحين يتكرر الأمر ويتضح السر فيه، سيتخذ الموقف مبررا آخر أعمق من هذا المبرر.

٢. **تعويد المجتمع على الوصول إلى الواقع في المرافعات القضائية**، فحين يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه أن القواعد القضائية ستوصل القضية إلى الواقع لا يكون لديه مانع من استعمالها، وحين يعلم مخالفتها للواقع فإنه سيهملها ويتجه في حكمه نحو الواقع مباشرة، وقد قلنا في الفصل السابق: إن الحاكم العادل مخير بين الأسلوبين باستمرار.

ومن هنا؛ كان هذا الأسلوب معتادا له، لا بمعنى أنه يتخذه في كل القضايا على الإطلاق، بل بمعنى أنه يكثر من اتخاذه، وذلك في موارد مخالفة القواعد العامة للواقع؛ ومن هنا يمكن القول: بأن المهدي عجل الله فرجه يجمع ما بين قضاء داود عليه السلام وقضاء محمد صلى الله عليه وآله، وحيث نعرف أن قضاء محمد صلى الله عليه وآله – أعني بالقضاء بالبينة واليمين – غالبي المطابقة للواقع، وقليل المخالفة له، نعرف أن المهدي عجل الله فرجه سيتخذ قضاء محمد صلى الله عليه وآله في الأغلب، وقضاء داود في الأقل، ولكنه عليه السلام سيصل إلى الواقع على كل تقدير.

ولا حاجة إلى التوسع في هذا المبرر أكثر من ذلك.

٣. **تعويد المجتمع على الوصول إلى الواقع**، في كل مصالح العامة، وليس في القضاء فقط؛ فان القضاء بالرغم من أهميته ليس هو أهم مرافق الدولة وأعمق مستوياتها، فإذا كان الجانب الأضعف محتاجا إلى الوصول إلى الواقع، فكيف بالجانب أو الجوانب المهمة والعليا في الدولة والمجتمع؟!

والمنطلق الأساسي لهذا المبرر، وهو أن الحكم العادل المطلق، الذي يحصل فيه الانسجام المطلق بين البشر أجمعين، لا يمكن أن يتحقق إلا بعد التشخيص الحقيقي لكل الوقائع والحوادث، والرؤية الواضحة لكل الظواهر والتحركات، وأي ضعف في التشخيص أو جهل في الرؤية، يؤدي إلى تضعضع العدالة في الحكم الوارد في الواقعة، وإذا كثر هذا الضعف كثر هذا التضعضع، ومن ثم قد يودي بعدالة النظام كله.

ولا نريد بالتشخيص الحقيقي والرؤية الواضحة، إلا ملاحظة كل واقعة وحادثة على واقعها من دون لبس وغموض. إذا، فتطبيق العدل الكامل المطلق، متوقف على الوصول إلى الواقع دائما – أعني في المصالح العامة – وقد يصل بعد التربية البشرية المستمرة حتى إلى الوقائع الشخصية الخاصة.

وهذا هو أحد الفروق بين داود عليه السلام والمهدي عجل الله فرجه، حيث وقع هذا القضاء من داود عليه السلام مرجوحا – كما عرفنا – مستحقا للاستغفار والإنابة، بينما سوف يكون راجحا من المهدي عجل الله فرجه ومطابقا للمصالح العامة في دولته؛ لأن المجتمع في عصر داود لم يكن في مستوى الوصول إلى الواقع، بل كانت القواعد القضائية العامة تربوية بالنسبة إليه إلى الحد الكافي... على حين سيصبح المجتمع في عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه محتاجا إلى الوصول إلى الواقع في كل المصالح العامة.

ولا حاجة إلى التوسع في هذا المبرر الثالث أكثر من هذا أيضا.

الهوامش:

١. المجلسي، «بحارالانوار»، ج ١٣ ص ١٨٣.
٢. «وسائل الشيعة»، ج ٣، ص ٤٣٥.
٣. «الغيبة للنعماني»، ص ١٦٩.
٤. نسخة مخطوطة.
٥. «الغيبة للنعماني»، ص ١٦٩.
٦. المجلسي، «بحارالانوار»، ج ١٣، ص ١٩٦؛ وكذلك الخبرين بعده.
٧. «المزار الكبير لابن المشهدي»، ص ١٣٥.
٨. المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٧٦.
٩. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨.
١٠. المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ٢٠٠.
١١. «وسائل الشيعة»، ص ٦٨١.
١٢. الشيخ الصدوق، «كمال الدين و تمام النعمة»، ١٣٩٥ ق.، ج ٢، ص ٦٧١.
١٣. سورة الأنبياء، الآية ٧٨.
١٤. «تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٦٩٣.
١٥. سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

المصدر: «موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه: تاريخ ما بعد الظهور»، الناشر دارالزهراء، الجزء ٣، صص ٥٦٧-٥٧٥.

محكمة الظهور
ويمثل أمامها المجرمون الموتى

إن الرجعة تعد أحد مظاهر العدل الالهي. الله الصادق في وعده ولا كفوا له في إقامه القسط والعدل. إن الله سبحانه وتعالى وعد في «القرآن الكريم: «**فَأَمَّا الَّذينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَديداً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرين**»[١] بان الكافرين سيعاقبون في هذه الدنيا وفي الآخرة، ومع ذلك، فان الكثير من المجرمين وقادة الظلام، إنتقلوا إلى جحيم البرزخ قبل أن يحين فصل الإنتقام الالهي، ولم ينلوا عقابهم في هذه الدنيا. إن رجعة الكافرين هي رد على هذه الآية الكريمة؛ لانه «**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ.**»[٢] ونتناول تاليا، المجموعات الراجعة من بين الكفرة والمنافقين.

أ) أعداء الأنبياء الالهيين عليهم السلام

بما أن الله تعالى وعده رسله وأنبيائه في القرآن الكريم، بنصرتهم، بيد أن ظروف النصرة لم تتحقق في عصر حضور الأنبياء، لذلك فان الأنبياء وأعداءهم، يجب أن يكونوا في عداد الراجعين، لكي يتحقق الوعد الالهي.

روى عن **جميل** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: **قول الله تبارك و تعالي «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهاد»**[٣] قال عليه السلام: «**ذلك و الله في الرجعة، أ ما علمت أن أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا– و قتلوا و الأئمة بعدهم قتلوا– و لم ينصروا ذلك في الرجعة.**»[٤]

كما أشار الإمام الصادق عليه السلام في رواية متوجها فيها إلى مفضل بن عمر، إلى العديد من أحداث زمن الرجعة، بما فيها أي من الاعداء سيرجعون. وقال بشأن أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله ممن سيرجعون:

«...**و يحضر مكذبوه الشاكون فيه و المكفرون و القائلون فيه إنه ساحر و كاهن و مجنون، و معلم و شاعر، و ناطق عن الهوي، و من حاربه و قاتله حتي يقتص منهم بالحق، و يجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله، إلي وقت ظهور المهدي عجل الله فرجه إماما إماما، و وقتا وقتا...**»[٥]

وتوضح الرواية تماما أن أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يقتصروا على عصر حياة النبي صلى الله عليه وآله بل جميع الذين سلكوا طريق المكذبين والمنكرين، سيكونون من الراجعين، في أي موقع من التاريخ كانوا.

ب) أعداء أهل البيت عليهم السلام

١. المبتدعون

ومن بين أعداء أهل البيت عليهم السلام فان معظم الروايات المتعلقة برجعة الكافرين، خصصت لرجعة المبتدعين ومحرفي الدين. ويبدو أن البدعة في الدين، تسببت بظهور أولى الفرق في الاسلام، ما مهد لانحراف قسم ملفت من أمة النبي صلى الله عليه وآله، مازالت آثاره وتداعياته باقية إلى يومنا هذا في حياة المسلمين وحتى غير المسلمين. إن هذه الأهمية والتأثير، هما لدرجة أن المبتدعين والمحرفين في الدين، سموا أئمة الظلام وهؤلاء يتحملون مسؤولية ذنوب الاخرين الذين سلكوا طريقهم وكذلك مرارة شيعة أهل البيت عليهم السلام ممن تحملوا خسائر وأضرارا فادحة بسببهم وبسبب أتباعهم وأنصارهم.

ولهذا السبب، فان الروايات المتعلقة برجعة المبتدعين، أعطت لجميع الناس، الحق في الثأر شخصيا من المحرفين.

روى عن **المفضل** عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«... و **[المهدي عجل الله فرجه] يأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهما في كل كور و دور، حتي يقص عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، و جمع النار لإبراهيم عليه السلام، و طرح يوسف عليه السلام في الجب، و حبس يونس عليه السلام في بطن الحوت، و قتل يحيي عليه السلام، و صلب عيسي عليه السلام، و عذاب جرجيس و دانيال عليهما السلام، و ضرب سلمان الفارسي، و إشعال النار علي باب أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام لإحراقهم بها.... و سم الحسن عليه السلام، و قتل الحسين عليه السلام، و ذبح أطفاله و بني عمه و أنصاره، و سبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله، و إراقة دماء آل محمد صلى الله عليه وآله، و كل دم سفك، و كل فرج نكح حراما، و كل (رين و خبث و فاحشة) و إثم و ظلم، و جور و غشم، منذ عهد آدم عليه السلام إلي وقت قيام قائمنا عجل الله فرجه، كل ذلك كل ذلك يعدده عليهما، و يلزمهما إياه فيعترفان به.**

ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما علي الشجرة، و يأمر نارا تخرج من الأرض فتحرقهما و الشجرة، ثم يأمر ريحا فتنسفهما في اليم نسفا...»[٦]

٢. من ظلموا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

وقد وردت أسماء قتلة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بين الراجعين.

روى عن المفضل عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«...**و يأتي محسن تحمله خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت أسد أم أميرالمؤمنين عليه السلام و هن صارخات و أمه فاطمة عليها السلام تقول: «هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»**[٧] **اليوم «تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً»**[٨و٩]

فبكي الصادق عليه السلام حتي اخضلت لحيته بالدموع، ثم قال عليه السلام:

«**تقوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول: اللهم أنجز وعدك و موعدك لي فيمن ظلمني و غصبني و ضربني و جزعني بكل أولادي.**

فتبكيها ملائكة السماوات السبع و حملة العرش و سكان الهواء و من في الدنيا و من تحت أطباق الثري صائحين صارخين إلي الله تعالي فلا يبقي أحد ممن قاتلنا و ظلمنا و رضي بما جري علينا إلا قتل في ذلك اليوم ألف قتلة...»[١٠]

٣. الأعداء اللعينين إلى الابد

ومن بين أعداء أهل البيت عليهم السلام ممن هم بارزون من بين الراجعين، يمكن الإتيان على إسم معاوية بن ابي سفيان، الشخص الذي وصف على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله بـ«اللعين بين اللعين». وقال الامام الباقر عليه السلام في رواية أن الثأر من معاوية وذريته اللعينة يتم على يد الإمام علي عليه السلام. روى عن **جابر** عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**ان لعلي عليه السلام الي الارض لكرة كرة مع الحسين عليه السلام يقبل برايته حتي ينتقم من بني امية و معاوية و آل معاوية ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من الكوفة ثلثين ألفا و من ساير الناس سبعين ألفا فيقاتلهم بصفين مثل المرة الاولي حتي يقتلهم فلا يبقي منهم مخبر، ثم كرة اخري مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتي يكون خليفته في الارض...**»[١١]

ومن الأعداء الاخرين للإمام علي عليه السلام يمكن الإشارة إلى **سعد بن ابي وقاص** الذي حذر الأئمة من الإلتحاق بجيشه في زمن رجعته.[١٢] ويتضح من هذه الفئة من الروايات أن اصطفافات تحصل بين الناس في زمن الظهور مع رجعة من ابيضت وجوههم واسودت وجوههم، وأن بعض الحروب تندلع لهذا السبب في زمن الظهور.

٤. رجعة قتلة الحسين بن علي عليه السلام

ومن أبرز الراجعين، هم قتلة الحسين بن علي عليه السلام ومن شايعوا على قتله. إن الثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام، ورد في الكثير من الروايات والزيارات، لدرجة أنه يتم في دعاء الندبة، مخاطبة صاحب الأمر عجل الله فرجه هكذا: «**أين الطالب بدم المقتول بكربلاء.**»

وفي زيارة «الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء» نسأل الله تعالى أن يرزقنا طلب ثأره من إمام منصور.

والآية «**وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً**»[١٣] تؤكد روايات المعصومين عليهم السلام بشان حق الامام المهدي عجل الله فرجه في الثأر للامام الحسين عليه السلام. كما روى عن الباقر آل محمد صلى الله عليه وآله:

«**هو الحسين بن علي ع قتل مظلوما و نحن أولياؤه، و القائم منا إذا قام منا طلب بثار الحسين، فيقتل حتي يقال قد أسرف في القتل، و قال: [المسي] المقتول الحسين ع و وليه القائم، و الإسراف في القتل– أن يقتل غير قاتله إنه كان منصورا، فإنه لا يذهب من الدنيا– حتي ينتصر برجل من آل رسول الله ص، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما.**»[١٤]

ويستشف من الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام أن قتلة الامام الحسين عليه السلام والذين شايعوا وبايعوا على قتله والراضين بقتله، أكانوا ميتين أو أحياء هم في عداد الذين سينتقم منهم المنتقم. روى عن **عبد السلام بن صالح الهروي** قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: **يا ابن رسول الله! ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال إذا خرج القائم عجل الله فرجه قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم فقال عليه السلام هو كذلك فقلت و قول الله عز و جل «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْري»**[١٥] **ما معناه؟**

قال عليه السلام: «**صدق الله في جميع أقواله و لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم و يفتخرون بها و من رضي شيئا كان كمن أتاه و لو أن رجلا قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز و جل شريك القاتل و إنما يقتلهم القائم عجل الله فرجه إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم.**»

قال فقلت له: **بأي شيء يبدأ القائم عجل الله فرجه منكم إذا قام؟**

قال عليه السلام: «**يبدأ ببني شيبة فيقاطع أيديهم لأنهم سراق بيت الله عز و جل...**»[١٦]

الهوامش:

١. سورة آل عمران، الآية ٥٦.
٢. سورة الروم، الآية ٦٠؛ سورة القصص، الآية ١٣.
٣. سورة الغافر، الآية ٥١.
٤. القمي، علي بن ابراهيم، «تفسير القمي»، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ق.، ج ٢، ص ٢٥٨.
٥. الحلّي، حسن بن سليمان بن محمّد، «مختصر البصائر»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الاولى، ١٤٢١ ق.، ص ٤٥٥.
٦. نفس المصدر، ص ٤٤٩–٤٥٠.
٧. سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.
٨. سورة آل عمران، الآية ٣٠.
٩. المجلسي، محمّد باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.، ج ٥٣، ص ٢٣.
١٠. نفس المصدر.
١١. الشيخ الحرّ العاملي، محمّد بن حسن، «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان علي الرجعة»، طهران، نويد، الطبعة الاولى، ١٣٦٢ هـ.ش.، ص ٣٦٣.
١٢. نفس المصدر.
١٣. سورة الاسراء، الآيه ٣٣.
١٤. العياشي، محمّد بن مسعود، «تفسير العياشي»، ج ٢، ص ٢٩٠.
١٥. سورة الانعام، الآية ١٦٤ و غيرها من السور.
١٦. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، طهران، جهان، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ق.، ج ١، ص ٢٧٣.

* الرقم٦٦
* رمضان كريم
١٤٤١

ابراهيم مختار ساماكي

ابراهيم مختار ساماكي، ولد عام ١٩٦٧م. في مدينة «باماكو» عاصمة «جمهورية ماليم». تحوّل من المذهب المالكي وتشرف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٩١م في دولة «غانا».

بداية التعرف على التشيع

يقول إبراهيم:

نشأت في أوساط عائلة سنّية تعتنق المذهب المالكي.قبل اكمالي للمرحلة الثانوية في المدارس الأكاديميّة سافرت إلى غانا لأحمل على عاتقي مهمة تدريس المواد الإسلامية المختلفة هناك، فأمضيت مدّة خمس سنوات في هذا المجال، وخلال تواجدي في غانا طرق سمعي وجود مذهب يسمى بالشيعة، وقد قيل لي إنّهم يختلفون عن أبناء العامة بأمور كثيرة، وأنّ أذانهم وصلاتهم وقرآنهم و... يختلف عما عندنا!

و بدافع المعرفة والاطلاع على هذه الطائفة بدأت بتتبع مراكزهم وجمع كتبهم والاحتكاك بهم... وكنت أقارن بينهم وبين أبناء العامة لا سيّما المالكية، وأوّل ما واجهت من خلال المطالعة والتتبع في كتب الشيعة ومعرفة تراثهم أنّهم قد تعرّضوا للفرية والتشنيع، إمّا بسبب العداء الطائفي، وإمّا بسبب عدم الاطلاع على تراثهم، والحقيقة أنّ كلا الأمرين مخجل! ولقد كانت لكتبهم – لا سيّما كتب المستبصرين – دور كبير في فتح آفاقي الفكريّة، وتوسيع إدراكي في فهم الحوادث التاريخيّة، خصوصاً تلك التي تلت وفاة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، ومع هذا كنت أرجع إلى الصّحاح لأتحقق بنفسي، لأنّ دأب الشيعة كان الاستدلال بكتب أبناء العامة وذكر ماورد فيها.

ولاية الإمام عليّ عليه السلام في القرآن

ومن المسائل التي استوقفتني كثيراً وجعلتني أبحث عنها بدقّة، هي ولاية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من خلال «القرآن الكريم» والسنّة النبويّة المطهّرة، فهنالك آيات كالمباهلة والإنذار والتبليغ و...، وأحاديث كالمنزلة والثقلين والطير والغدير و...، دلّت بشكل قاطع على إمامته ووجوب تقديمه والاقتداء به.

وهذه النصوص القرآنية والنبوية وردت بشكل واضح، وذكرها الرسول صلى الله عليه وآله في مواقف متعدّدة، وذلك ليرسخ حقيقة ثبوت الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، وتتجلى هذه الحقيقة لكلّ مسلم لو أمعن النظر في هذه الآيات والأحاديث التي منها:

١. قوله تعالى: «**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ**»[١]

وهي نازلة في حقّ الإمام عليّ عليه السلام، كما جاء في كتب الحديث والتفسير و الفقه، ونصّ عظماء الجمهور على تواتر هذا الخبر وصحّته والركون إليه، كأصحاب الصحاح وغيرهم،[٢] وأجمعوا على أنّها نزلت في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما تصدّق بخاتمه أثناء الصلاة.[٣]

ووجه دلالتها على الإمامة: هو أنّ الله تعالى أثبت الولاية له ولرسوله ولمن آتى الزّكاة في حال ركوعه، وذلك ظاهر من سياق الآية، والذي آتى الزّكاة هو أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره، كما ثبت من إجماع أهل النقل، والمراد من الولاية هنا ملك التصرّف، وهذا معنى الإمامة.

٢. قوله تعالى: «**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ**»[٤]

حيث أمر الله تعالى النبيّ صلى الله عليه وآله أن ينصّب عليّاً للناس وتبيان فضله ومكانته يوم الغدير، وقد أخرج ذلك متواتراً أئمة التفسير والحديث والتاريخ، وروى هذه الحادثة مائة صحابي! حيث خطب النبيّ صلى الله عليه وآله بمحضر مائة ألف من المسلمين أو يزيدون، وقال فيما قال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه...**»، وقد احتجّ بذلك الكثير من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام.[٥]

٣. قوله تعالى: «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً**»[٦]

وقد روى الجمهور أنّ هذه الآية نزلت يوم غدير خم بعد أن أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله البيعة لعليّ عليه السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي والولاية لعليّ بن أبي طالب من بعدي.**» **ثمّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه... .»**[٧]

والمولى في اللغة بمعنى أولى، والأولى هو الأحقّ والأملك، وذلك معنى الإمامة.

٤. قوله تعالى: «**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**»[٨]

وقد ذكر المفسّرون،[٩] وروى الأئمّة كأحمد وغيره أنّها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.[١٠] وفيها إخبار من الله تعالى بإرادته إذهاب الرجس عنهم، والرجس هنا هو رجس الذنوب، ولقد أجمعوا أي المخصوصين بالآية على أنّ الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، وإجماعهم هذا حجّة واجبة الاتباع، إضافة إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام طالب بالخلافة ليقوم بشؤونها، فتكون مطالبته صادقة وصحيحة.

٥. قوله تعالى: «**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ**»[١١]

وقد تواترت الأخبار عن **عبد الله بن عبّاس** وغيره، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ يوم المباهلة بيد عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وجعلوا فاطمة عليها السلام وراءهم،[١٢] كما أجمع المفسّرون[١٣] على أنّ (أبْناءَنا) إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام، (وَأَنْفُسَنا) إشارة إلى الإمام عليّ عليه السلام، فقد جعله الله تعالى نفس النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فهو المساوي له في الكمال والتصرّف و...

وهذه الآية أدلّ دليل على علوّ رتبته عليه السلام وأحقيّته بالخلافة، لأنّ الباري حكم بمساواته لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله، فكيف يسوغ لمسلم أن يقدّم أحداً على نفس رسول الله صلى الله عليه وآله؟!ولهذا ترى أمير المؤمنين عليه السلام استدلّ بهذه الآية عندما احتجّ في الشورى على الحاضرين بجملة من فضائله ومناقبه و...، وكانت آية المباهلة من صميم تلك الاحتجاجات.

٦. قوله تعالى: «**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً...**»[١٤]

فلم يعمل بذلك أحّد من الصحابة إلاّ عليّ (عليه السلام) إلى أن نسخت،[١٥] وهي تدلّ على أفضليته بمسارعته إلى قبول أمر الله عزّوجلّ والعمل به، وبالخصوص بعد أن بخل الآخرين.

في السنّة

فالأخبار المتواترة فيها عن النبيّ صلى الله عليه وآله والدالّة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تحصى، وقد روى جمهور أبناء العامة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام هذه الأحاديث في مصنّفاتهم، وذكروها في مرويّاتهم، ونقتصر على قليل منها:

١. عن **سلمان** قال: **يا رسول الله من وصيّك؟**... قال صلى الله عليه وآله: «**فإنّ وصيّي وواراثي يقضي ديني وينجز موعدي عليّ بن أبي طالب.**»[١٦]

٢. قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.**»[١٧]

٣. أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بسدّ الأبواب إلاّ باب عليّ عليه السلام، فتكلّم الناس! فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: «**فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته! إنّما أُمرت بشيء فاتبعته.**»[١٨]

٤. عن **أم سلمة** أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.**»[١٩]

٥. ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**أنّه لا يجوز على الصراط إلاّ من كان معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب.**»[٢٠]

إنقاذ النفس من الضلالة

يقول إبراهيم:

لم تبق لي هذه الآيات والأحاديث مجالا للشكّ في أحقيّة الإمام عليّ عليه السلام بقيادة الأمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، كما أنّ أحداث الخلافة التي جرت في السقيفة، وتحرّي بعض الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من تعدّي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله و...، كلّ هذه الأحداث جعلتني أتأمّل في معتقداتي.

فقرّرت إنقاذ نفسي بعد أن اتّضحت لي الأمور، وكشف الغطاء الذي ستره البعض، وتوجهت إلى الله تعالى ليوفقني في سلوك النهج الصحيح والسبيل الموصل إليه، فهداني جلّ وعلا للتمسّك بعدل الكتابة وثقله، عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، فأعلنت استبصاري في غانا عام ١٩٩١م.

الهوامش:

١. سورة المائدة، الآية ٥٥.

٢. إنّ هذا ممّا اتفق عليه المفسّرون وغالب المحدّثين في حقّ الإمام عليّ عليه السلام كابن الأثير الجزري في جامع الأصول: ٨ / ٤٩٩ (٦٥١٥)، والواحدي في أسباب النزول:٢٠١ (٣٩٦)، والطبري في الرياض النضرة: ٢ / ١٧٩ (١٦١٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٢ / ٣٥٧، والنسائي في سننه: ٥ / ١٣٥ (٨٤٨١)، وابن أبي حاتم الرازي في التفسير الكبير: ٤ / ٣٨٣، الطبراني في المعجم الأوسط: ٤ / ٣٥٧ (٦٢٣٢).

٣. من الذين اعترفوا بإجماع المفسّرين على نزول الآية في حقّ الإمام عليّ (عليه السلام) بخصوص هذا الموقف: القاضي الايجي في كتابه المواقف: ٣ / ٦٠١، والشريف الجرجاني في شرح المواقف: ٨ / ٣٦٠، وسعد الدين التفتازاني في كتابه شرح المقاصد: ٥ / ٢٧٠.

٤. سورة المائدة، الآية ٦٧.

٥. أنظر: شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ١٩٢ (٢٤٩)، الدرّ المنثور للسيوطي: ٣ / ١٩، فتح القدير للشوكاني: ٢ / ٦٠، روح المعاني للآلوسي: ٣ / ٣٥٩، التفسير الكبير للفخر الرازي: ٤ / ٤٠١، فرائد السمطين للجويني: ١ / ١٥٨ (١٢٠)، عمدة القاري للعيني: ١٨ / ٢٧٦، ينابيع المودة للقندوزي: ١ / ١٥٩.

٦. سورة المائدة، الآية ٣.

٧. أنظر: الدرّ المنثور للسيوطي: ٣ / ١٩، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ١٥٨ (٢١٣)، تاريخ بغداد للخطيب: ٨ / ٢٨٩ (٤٣٩٢)، البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٢، مناقب الخوارزمي: ١٣٥ (١٥٢)، تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٢٣٧، وذكرها ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ١ / ١٧، وغيرها.

٨. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٩. أنظر: ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٨٦، الطحاوي في مشكل الآثار: ١ / ٢٢٢ ٢٣٨، الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢ / ١٠ (٦٣٧)، ابن جرير الطبري في تفسيره: ٢٢ / ٥ ٨، السيوطي في الدرّ المنثور: ٦ / ٦٠٤.

١٠. أنظر: مسند أحمد: ٦ / ٢٩٢ (٢٦٥٥١)، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣ (٢٤٢٤)، المستدرك للحاكم: ٣ / ١٥٨ (٤٧٠٥)، سنن الترمذي: ٥ / ٢٦٢ (٣٢٠٥ ٣٢٠٦)، ٦ / ١٢٥ (٣٧٨٧)، ١٧٤ (٣٨٧١)، الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٤٢١.

١١. سورة آل عمران، الآية ٦١.

١٢. أنظر: صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧١ (٢٤٠٤)، مسند أحمد: ١ / ١٨٥ (١٦٠٨)، سنن الترمذي: ٦ / ٨٦ (٣٧٢٤)، تحفة الأحوذي: ٨ / ٢٧٨ (٣١٨٦)، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٦٣، سنن البيهقي: ٧ / ١٠١ (١٣٣٩٢).

١٣. أنظر: تفسير الطبري: ٣ / ٣٠٠، تفسير ابن كثير: ١ / ٣٧٩، تفسير الدرّ المنثور للسيوطي:٢ / ٢٣١، الكشّاف للزمخشري: ١ / ٥٦٤، أسباب النزول للواحدي: ٦١ (٢٠٩).

١٤. سورة المجادلة، الآية ١٢.

١٥. أنظر: تفسير الطبري: ٢٨ / ١٩، أحكام القرآن للجصاص: ٣ / ٤٢٨، أسباب النزول للواحدي: ٤٣٢، سنن النسائي: ٥ / ١٥٢ (٨٥٣٧)، الدرّ المنثور للسيوطي: ٨ / ٨٤، التفسير الكبير للرازي: ١٠ / ٤٩٥، ينابيع المودّة للقندوزي: ١ / ٢٩٩، تفسير ابن كثير: ٤ / ٣١٨، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٤٦ (١٤٨٣)، مستدرك الحاكم: ٢ / ٥٢٣ (٣٧٩٤)، وغيرها.

١٦. أنظر: فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٦١٥ (١٠٥٢)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ١١٣، كفاية الطالب للكنجي: ٢٩٣، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٧٧ (١١٥)، الرياض النضرة للطبري: ٢ / ١٩٩ (١٣٧٤٣)، ذخائر العقبى للطبري: ٧١، المعجم الكبير للطبراني: ٦ / ٢٢١ (٦٠٦٣).

١٧. أنظر: صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧١ (٢٤٠٤)، صحيح البخاري: ٤ / ١٦٠٢ (٤١٥٤)، مسند أحمد: ١ / ١٧٧ (١٥٣٢)،

١٨. أنظر: مسند أحمد: ١ / ١٧٥ (١٥١١)، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٥ (٤٦٣١)، سنن الترمذي: ٦ / ٩١ (٣٧٣٢)، المعجم الأوسط للطبراني: ٣ / ٨٢ (٣٩٣٠).

١٩. أنظر: تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٢٠ (٧٦٤٣)، مجمع الزوائد للهيثمي: ٧ / ٢٣٥ و ٩ / ١٣٤، تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٤٤٩.

٢٠. أنظر: المناقب لابن المغازلي: ٢٤٢ (٢٨٩)، فرائد السمطين للجويني

المصدر: شبكة العقائد aqaed.com

* الرقم٦٦
* رمضان كريم
١٤٤١

الأقوياء في الدين

عن محمّد بن أحمد عن رجل عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: **صف لي المؤمن.**
قال عليه السلام:
«قوّة في دين و حزم في لين و إيمان في يقين و حرص في فقه و نشاط في هدى و برّ في استقامة و علم في حلم و شكر في رفق و سخاء في حقّ و قصد في غنى و تجمّل في فاقة و عفو في قدرة و طاعة في نصيحة و ورع في رغبة و حرص في جهاد و صلاة في شغل و صبر في شدّة- و في المزاهر وقور و في المكاره صبور و في الرّخاء شكور و لا يغتاب و لا يتكبّر و لا يقطع الرّحم و ليس بواهن و لا فظّ و لا غليظ و لا يسبقه بطره و لا تفضحه بطنه و لا يغلبه فرجه و لا يحسد النّاس و لا يقتر و لا يبذّر و لا يسرف ينصر المظلوم و يرحم المساكين نفسه منه في عناء و النّاس منه في راحة لا يرغب في الدّنيا و لا يفزع من مهائل النّاس للنّاس همّ قد أقبلوا عليه و له همّ قد شغله لا يرى في حلمه نقص و لا في رأيه وهن و لا في دينه ضياع يرشد من استشاره و يساعد من ساعده و يكيع عن الباطل و الخنى و الجهل فهذه صفة المؤمن.»

المصدر: محمّد بن علي ابن بابويه (صدوق)، «صفات الشّيعه»، صص ٣٤- ٣٥، الحديث الرابع و الخمسون.

الأخ السديد، الشيخ المفيد!

رأي في منامه كان فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ و معها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين فسلمتهما إليه وقالت له: علمهما الفقه فانتبه متعجبا من ذلك فلما تعالي النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأي فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد **فاطمة بنت الناصر** و حولها جواريها و بين يديها ابناها **محمّد الرضي** و **علي المرتضي** صغيرين. فقام إليها وسلم عليها، فقالت له: **أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه.**

فبكي الشيخ و قص عليها المنام وتولي تعليمهما الفقه وأنعم اللّه عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم و الفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باق ما بقي الدهر.[١]

و هذا الشيخ، هو **الشيخ المفيد.**

محمّد بن محمّد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد (٣٣٦ أو ٣٣٨ – ٤١٣ ه) من علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري، وكان تلميذ **الشيخ الصدوق**، وأستاذ **السيدين الرضي و المرتضي** وكذلك **الشيخ الطوسي**.

حياته

وما ان تجاوز المفيد سني الطفولة وأتقن مبادئ القراءة والكتابة حتي انحدر به أبوه وهو صبي إلي «بغداد» حاضرة العلم ومهوي أفئدة المتعلمين.

فسارع إلي حضور مجلس درس الشيخ **أبي عبد الله الحسين بن علي** المعروف بال«جعل» بمنزله بدرب رباح، ثم قرأ علي **أبي ياسر** غلام **أبي الجيش** بباب «خراسان».

وفي أثناء قراءته علي أبي ياسر اقترح عليه أستاذه هذا أن يكثر التردد علي مجلس المتكلم الشهير **علي بن عيسي الرماني المعتزلي**، ففعل، ويحدثنا المفيد عن زيارته الأولي **للرماني** فيقول:

لم لا تقرأ علي علي بن عيسي الرماني الكلام و تستفيد منه؟

فقال: **ما أعرفه و لا لي به أنس، فأرسل معي من يدلني عليه.**

قال: ففعل ذلك و أرسل معي من أوصلني إليه، فدخلت عليه – و المجلس غاص بأهله – و قعدت حيث انتهي بي المجلس، فكلما خف الناس قربت منه، فدخل إليه داخل فقال:

بالباب إنسان يؤثر الحضور بمجلسك و هو من أهل البصرة.

فقال: **أ هو من أهل العلم؟**

فقال غلامه: **لا أعلم إلا أنه يؤثر الحضور بمجلسك.**

فأذن له، فدخل عليه فأكرمه فطال الحديث بينهما، فقال الرجل **لعلي بن عيسي: ما تقول في يوم الغدير و الغار؟**

فقال: **أما خبر الغار فدراية و أما خبر الغدير فرواية، و الرواية لا توجب ما توجب الدراية.**

قال: فانصرف البصري و لم يجر جوابا يورد إليه. قال المفيد رحمه الله: فتقدمت فقلت: **أيها الشيخ مسألة.**

فقال: **هات مسألتك.**

فقلت: **ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟**

فقال: **يكون كافرا،** ثم استدرك فقال: **فاسقا.**

فقلت: **ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟**

فقال: **إمام.**

قلت: **فما تقول في يوم الجمل و طلحة و الزبير؟**

قال: **تابا.**

قلت: **أما خبر الجمل فدراية و أما خبر التوبة فرواية.**

فقال لي: **أكنت حاضرا و قد سألني البصري؟**

فقلت: **نعم.**

قال: **رواية برواية و دراية بدراية!**

فقال: **بمن تعرف و علي من تقرأ؟**

قلت: **أعرف بابن المعلم و أقرأ علي الشيخ أبي عبد الله الجعل.**

فقال: **موضعك؛** و دخل منزله و خرج و معه رقعة قد كتبها و ألصقها و قال لي: **أوصل هذه الرقعة إلي أبي عبد الله.** فجئت بها إليه فقرأها و لم يزل يضحك هو و نفسه؛ ثم قال لي: **أي شيء جري لك في مجلسه، فقد وصاني بك و لقبك المفيد.** فذكرت له المجلس بقصته، فتبسم.[٢]

وهكذا بدأ هذا الشاب اليافع دراسته في بغداد، مختارا لها نخبة من أعلام عصره، وواهبا كل فراغه ووقته، وباذلا في سبيلها كل طاقته وجهده، فكان نتاج ذلك هذا العلم الكبير الشهير.

كان شيخ الفقهاء والمحدثين في عصره، مقدما في علم الكلام، ماهرا في المناظرة والجدل، عارفا بالأخبار والآثار، كثير الرواية والتصنيف، كان له مجلس بداره بدرب رباح يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف، فتخرج به جماعة وبرع في المقالة الامامية حتي كان يقال: **له علي كل إمامي منة، وقد جمع المفيد بالإضافة إلي علمه الجم، فضائل نفسية رفيعة، فكان قوي النفس، كثير البر، عظيم الخشوع عند الصلاة والصوم ما كان ينام من الليل إلا هجعة، ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن.**[٣]

كانت مدينة بغداد في عصر المفيد عاصمة الدولة الإسلامية و مملوءة بكثير من العلماء ممن ينتحل المذاهب الإسلامية المختلفة، و كانت تعد المركز الثقافي للعالم الإسلامي، و كانت مجالس المناقشة و المناظرة و المباحثة و الجدال في أحقية المذاهب قائمة؛ و كثيرا ما كانت تنعقد تلك المجالس في حضور الخلفاء و الملوك و سائر أرباب النفوذ، فكان الشيخ المفيد رحمه الله يحضر هذه المجالس و يناظر المخالفين و يجادلهم و يرد عليهم شبهاتهم و يجيب عما يوردون علي الشيعة و علي آرائهم المذهبية. و لم تكن مناظراته تلك و دفاعه عن مذهب الإمامية مقصورة علي تلك المناظرات التي كانت تنعقد ببغداد، بل كان يرد عليهم شبهاتهم في أسفاره أيضا كما يستفاد ذلك من بعض كتبه.[٤] فكان الشيخ المفيد يدافع عن التشيع بلسانه و قلمه، فأثر في بغداد تأثيرا عظيما بحيث إن أعداءه و مخالفيه كانوا يتمنون موته، و لم يتحرزوا من إظهار فرحهم و سرورهم بوفاته، فهذا **ابن النقيب** يعقد مجلس الفرح و السرور عند موته و يقول:

ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم![٥و٦]

الشيخ المفيد و مولاه صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف

قال **ابن شهر آشوب** في معالمه: **ولقبه الشيخ المفيد صاحب الزمان** عجل الله فرجه الشريف، **وقد ذكرت سبب ذلك في «مناقب آل أبي طالب» عليهم السلام».**[٧]

والظاهر أن المراد من عبارته ولقبه الشيخ المفيد صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ما ورد في التوقيع: «**للأخ السديد والوفي الرشيد الشيخ المفيد.**»[٨]

بوفاة **علي بن محمّد السمري**، وجد الشيعة أن قيادتهم انحصرت في فقهائهم، وفقهائهم لا يتميزون عنهم إلا بقسط من المعلومات، فأصيبوا بفراغ قيادي ضاغط. فإجماعهم علي الشيخ المفيد دليل علي أنهم وجدوا فيه أكثر من مجرد فقيه.

وكانت له حوزة واسعة تضم خيرة مثقفي الشيعة في عهده وأعتني بتثقيفهم وتربيتهم علي التقوي والصلاح والظاهرين من طلبته الشريفان: الرضي، والمرتضي، والشيخ الطوسي...

وقد سد شيئا من الفراغ القيادي الذي أصيبت به الشيعة علي أثر بدء الغيبة الكبري. أنه جسد الشيعة علما، ومثلهم قيادة، تركزت ضده التحديات الطائفية، وقد هاجم المتطرفون السنة

أكثر من مرة مسجده، وفتكوا بالشيعة وهم يؤدون فريضة الصلاة، وذات مرة هاجموا منزله وأحرقوا مكتبته التي كانت تضم مخطوطات نفيسة جدا، ولكنه صمد في كل تلك الأزمات واستطاع أن يتغلب – بحكمته – علي الموقف دون أن يثير حربا طائفية. و المفيد تصدي للقيادة المرجعية – وبتوجيه مباشر من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف – واجتمعت فيه مؤهلات جمعت عليه كلمة الشيعة بلا منازع. فكان أولي من تجتمع عليه كلمة الشيعة بعد الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وكان يخاطبه الامام بقية الله عجل الله فرجه الشريف بهذه الكلمات في رسائله «**الأخ السديد والولي الرشيد**» و «**سلام الله عليك أيها الولي المخلص في الدين المخصوص فينا باليقين...**» و «**أدام الله توفيقك لنصرة الحق وأجزل مثوبتك علي نطقك عنا بالصدق**» و «**أيها الأخ الولي والمخلص في ودنا الصفي. والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه التي لا تنام**» و «**سلام الله عليك أيها الناصر للحق، الداعي إليه بكلمة الصدق**» و «**ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيدك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين**» و «**أيها الولي الملهم للحق العلي!**»[٩]

فقد كان يتردد علي من عاصرهم من النواب الأربعة، وبقي بعدهم علي علاقته بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالمراسلة – وربما بالمشاهدة – ويذكر **العلامة الحلي** في «الرجال الكبير» قصة خلاصتها أن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو الذي أطلق عليه لقب **المفيد**، والمعروف أنه هو الذي أمره بالفتوي.

وقد اختاره الامام بقية الله عجل الله فرجه الشريف للقيام بدور معين فقوله عجل الله فرجه الشريف: «**أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلي موالينا... واعمل في تأديته إلي من تسكن إليه بما نرسمه.**»[١٠]

جاء ذات يوم احد مقلدي الشيخ المفيد الي الشيخ يستفتيه في امر مهم ويقول له: **ان لنا امراه قد توفيت الان وهي حامل والجنين يضرب في بطنها فماذا نصنع بها مع انا نعلم بان الجنين حي بعد في رحمها!**

اجاب الشيخ المفيد المستفتي قائلا: **اذهبوا وادفنوا المرآه علي حالها.**

ذهب الرجل ومرت اعوام وسنين وفي يوم والشيخ متكئا علي اريكة التدريس وهو يتأهب لألقاء الدرس واذا بشاب وسيم يدخل المجلس ويشترك في الدرس.

وبعد انتهاء الدرس قال الشاب للشيخ: «**آنا ذلك الذي افتيتم في حقه بفتويين، وكانت فتواكم الثانية هي التي انقذتني من الموت فلكم حق الحياة علي اذ حياتي مرهونة لكم.**»

تعجب الشيخ من كلام هذا الشاب وقال له: **لو فصلت لي قصتك فاني بعيد العهد عنها؟**

فبدا يقص الشاب قصته قائلا: «**لقد ماتت امي وانا حمل في بطنها وبي رمق في الحياة فارسلوا الي جنابكم من يسالكم عن المسالة فأفتيتم بان تدفن المرآه مع الجنين الذي في بطنها، ولما جهزوا المرآه وارادوا وضعها في القبر جاء رسول من قبلكم وقال ان الشيخ يبلغكم السلام ويقول لكم: ان كان الجنين حيا يضرب في بطن امه فلا تدفنوا الام حتي تشقوا بطنها وتخرجوا الجنين منه.**»

فلما جلس الشيخ المفيد رحمه الله في داره وأغلق عليه بابه جاءه كتاب يحمل توقيع الناحية المقدسة، يعني عن الامام الحجه عجل الله فرجه الشريف وفيه:

«**أيها الاخ السديد الشيخ المفيد! منك الفتوي ومنا التسديد.**»

وما ان وقع نظر الشيخ المفيد علي هذا التوقيع وفهم ما فيه أجهش بالبكاء شوقا الي امامه وشكرا له علي عنايته وألطافه الخاصة به ثم قام وفتح باب داره واشتغل بما كان مشتغلا به من التدريس.[١١]

مكانته عند الأعلام

لقد أثني عليه أساطين العلماء، و أشاد بفضله الفضلاء، و أخبر عن علو منزلته الأعداء، و لا بأس بذكر بعض كلمات هؤلاء الأعلام علي نحو المثال حتي لا نخرج عن طريقتنا في الاختصار.

قال **ابن النديم**: **ابن المعلم، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان، في زماننا انتهت إليه رئاسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه و الكلام و الآثار؛ مقدم في صناعة الكلام علي مذاهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر؛ شاهدته و رأيته بارعا.**[١٢]

و قال **النجاشي**: **محمّد بن محمّد بن النعمان... شيخنا و أستاذنا رحمه الله، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه و الكلام و الرواية و الثقة و العلم.**[١٣]

و قال **الشيخ الطوسي**: **محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد، يكني أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته و كان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب. و له قريب من مائتي مصنف كبار و صغار، و فهرست كتبه معروف.**[١٤]

و قال **ابن الجوزي**: **محمّد بن محمّد بن النعمان، أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، شيخ الإمامية و عالمها، صنف علي مذهبهم؛ و من أصحابه المرتضي. و كان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرب رباح بحضرة كافة العلماء، و كانت له منزلة عند أمراء الأطراف يميلهم إلي مذهبه.**[١٥]

و قال **العلامة الحلي**: **محمّد بن محمّد بن النعمان يكني أبا عبد الله يلقب بالمفيد و له حكاية في سبب تسميته بالمفيد، ذكرناها في كتابنا الكبير و يعرف بابن المعلم، من أجل مشايخ الشيعة و رئيسهم و أستاذهم، و كل من تأخر عنه استفاد منه، و فضله أشهر من أن يوصف في الفقه و الكلام و الرواية، أوثق أهل زمانه و أعلمهم، انتهت رئاسة الإمامية إليه في وقته؛ و كان حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنف كبار و صغار.**[١٦]

و قال **الذهبي**: **عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد و اسمه محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي الشيعي، و يعرف بابن المعلم. كان صاحب فنون و بحوث و كلام و اعتزال و أدب. ذكره ابن أبي طي في تاريخ الإمامية فأطنب و أسهب و قال: كان أوحد في جميع فنون العلم، الأصلين و الفقه و الأخبار و معرفة الرجال و التفسير و النحو و الشعر. و كان يناظر أهل كل عقيدة مع العظمة في الدولة البويهية و الرتبة الجسيمة عند الخلفاء؛ و كان قوي النفس، كثير البر، عظيم الخشوع، كثير الصلاة و الصوم، يلبس الخشن من الثياب، و كان مديما للمطالعة و التعليم، و من أحفظ الناس. قيل: إنه ما ترك للمخالفين كتابا إلا و حفظه، و بهذا قدر علي حل شبه القوم. و كان من أحرص الناس علي التعليم، يدور علي المكاتب و حوانيت الحاكة...**

و قيل: ربما زاره عضد الدولة و يقول له: اشفع تشفع.[١٧]

و قال **اليافعي**: **و فيها توفي عالم الشيعة و إمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد و بابن المعلم أيضا، البارع في الكلام و الجدل و الفقه. و كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة و العظمة في الدولة البويهية. و كان شيخا ربعة نحيفا أسمر.**[١٨]

و قال **ابن حجر العسقلاني**: **محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد عالم الرافضة، أبو عبد الله ابن المعلم صاحب التصانيف البديعة و هي مائتا تصنيف طعن فيها علي السلف. له صولة عظيمة بسبب عضد الدولة...**[١٩]

و قال **ابن كثير**: **ابن النعمان شيخ الإمامية الروافض و المصنف لهم و المحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل الكثير من أهل ذلك الزمان إلي التشيع؛ و كان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف. و كان من جملة تلاميذه الشريف الرضي و المرتضي.**[٢٠و٢١]

نهاية المطاف

عند ما اختلت الأوضاع ببغداد و اشتدت الفتنة فيها و اضطربت السلطات الحاكمة للفتن الطائفية و الاضطرابات المذهبية، نفي الشيخ المفيد رحمه الله ثلاث مرات خلال السنوات ٣٩٣ هـ و ٣٩٨ هـ و ٤٠٩ أو ٤٠٨ هـ، و لكنه أعيد بعد ذلك بقليل بكل احترام و تكريم و علو منزلة. توفي الشيخ المفيد رحمه الله سنة ٤١٣ هجرية (١٠٢٢ م.) عن عمر يناهز ٧٥ سنة، ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان، وقد شارك في جنازته كما هائلا من الناس وأم صلاة الميت عليه تلميذه **الشريف المرتضي**، دفن الشيخ المفيد بادئ الأمر في داره و فيما بعد نقل إلي «الكاظمية» ليدفن بالقرب من الإمام محمّد الجواد عليه السلام إلي جانب شيخه **العلامة جعفر ابن محمّد ابن قولويه.**

ذكر جماعة من العلماء أنه وجد مكتوبا علي قبر الشيخ المفيد بخط الإمام صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف هذه الأبيات:

لا صوت الناعي بفقدك إنه
يوم علي آل الرسول عظيم
إن كنت قد غيبت في جدث الثري
فالعدل و التوحيد فيك مقيم
و القائم المهدي يفرح كلما
تليت عليك من الدروس علوم[٢٢]

الهوامش:

١. ابن أبي الحديد، «شرح نهج البلاغة»، ج١، ص٤١.
٢. المفيد، محمّد بن محمّد، «الجمل و النصرة لسيد العترة في حرب البصرة»، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ق.، ص ٩-١٠.
٣. المفيد، محمّد بن محمّد، «الإختصاص»، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ ق.، ص ٤.
٤. انظر «الفصول المختارة»، ص ٢٧٤ و ٢٧٧.
٥. «تاريخ بغداد»، ج ١٠، ص ٣٨٢.
٦. المفيد، محمّد بن محمّد، «الجمل و النصرة لسيد العترة في حرب البصرة»، ص ١٧.
٧. «معالم العلماء»، ص ١١٣، رقم ٧٦٥.
٨. الطبرسي، احمد بن علي، «الإحتجاج علي أهل اللجاج»، المشهد المقدس، الطبعة الاولى، ١٤٠٣ ق.، ج ٢، ص ٤٩٧.
٩. نفس المصدر.
١٠. نفس المصدر.
١١. عن كتاب «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» للعلامة السيد محمّد باقر الموسوي الخونساري.
١٢. «فهرست ابن النديم»، ص ٢٢٦ و ٢٤٧.
١٣. «رجال النجاشي»، ص ٣٩٩.
١٤. «فهرست الشيخ الطوسي»، ص ١٥٧- ١٥٨.
١٥. «المنتظم»، ج ٨، ص ١١.
١٦. «رجال العلامة»، ص ١٤٧.
١٧. «سير أعلام النبلاء»، ج ١٧، ص ٣٤٤.
١٨. «مرآة الجنان»، ج ٣، ص ٢٨.
١٩. «لسان الميزان»، ج ٥، ص ٣٦٨.
٢٠. «البداية و النهاية»، ج ١٢، ص ١٥.
٢١. المفيد، محمّد بن محمّد، «الجمل و النصرة لسيد العترة في حرب البصرة»، ص ١٧-١٩.
٢٢. المفيد، محمّد بن محمّد، «كتاب المزار- مناسك المزار»، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ ق.، المقدمة، ص ١١.

صلح الحسن عليه السلام

الشيخ راضي آل ياسين

وما كان بدعا من محاولات **معاوية** فيما يهدف اليه، أن يبتدر هو الى طلب الصلح،[١] فيعطي الحسن عليه السلام كل شرط، ليأخذ عليه شرطا واحدا هو **الملك**.

وقرر معاوية خطته هذه، في بحران نشاط الفريقين للحرب، وكان في توفره على تنفيذ هذه الخطة، أعنف منه في عمله لتنظيم المعسكرات وتدبير شؤون الحرب. ورأى ان يبادئ الحسن عليه السلام بطلب الصلح، فان أجيب اليه فذاك، والا فلينتزعه انتزاعا، دون أن يلتحم والحسن عليه السلام في قتال.

وكان عليه قبل كل شيء، أن يصطنع في سبيل التمهيد الى غايته، ظرفا من شأنه ان ينبه خصومه الى تذكر الصلح.

ومن هنا طلعت على معسكرات الحسن عليه السلام، الوان الاراجيف، وعمرت سوق الرشوات، وجاء في قائمة وعوده التي خلب بها ألباب كثير من الزعماء أو المتزعمين: **رئاسة جيش، وولاية قطر، ومصاهرة على أميرة اموية** ! وجاء في أرقام رشواته النقدية الف الف!

واستعمل في سبيل هذه الفكرة كل قواه وكل مواهبه وكل تجاربه، واستجاب له كثير من باعة الضمائر الذين كانوا لا يفارقون الحسن عليه السلام ظاهرا فاذا هم عيون معاوية التي ترى، وأصابعه التي تعمل، وعملاؤه الذين لا يدخرون وسعا في ترويج اهدافه.

وكانت الجيوش والاسلحة والحركات السوقية في الزحف الى المعسكرات، هي الاخرى بعض وسائله الى الصلح، ولم يشأ أن يبدأ بهم غاراته على العراق، لانه لن يلتحم مع الحسن عليه السلام بقتال، الا اذا اعيته الوسائل كلها، والوسائل في عرف معاوية، غير الوسائل في عرف الناس أو في عرف الدين الجديد.

ومن الحق أن نقول: ان وسائله في هذا الميدان، كانت من النوع المحبوك الصنع، الدقيق الاساليب، الموفق كل التوفيق، في سبيل الغرض الذي رمى اليه، من اصطناع الظرف الخاص الذي يذكر عدوه بالصلح.

فاذا باع القائد في جبهة العراق ضميره لمعاوية بالمال، وباع معه أكثر الرؤساء ضمائرهم بالعدات.

واذا أصبح المعسكران في مسكن والمدائن يعجان بالشائعات التي راحت تمطرهما بوابل من الويل والثبور والمخاوف.

واذا أصبح الحسن عليه السلام نفسه لا يتسنى له تنفيذ أوامره في جيشه بما فعلته الاراجيف من حوله، بل لا يستطيع الظهور بشخصه أمام الكثرة من جنوده، الا ليغتال بين مضاربه وعلى سواعد أصحابه.

فهل من سبيل الا الصلح؟!

انه الظرف الذي استعصى صلاحه بفساد ناسه، ولا تثريب على الحسن عليه السلام من ظرفه اذا فسد، وناسه اذا فشت فيهم الفتنة، وان لانحراف الطبائع حكمه، ولحداثة الاسلام خاصتها، في القلقين من المسلمين أو في المفروضين على الاسلام فرضا.

واذا قدر للحسن أن يخسر بخيانة جنوده، أو ببراعة الفتن التي تسلح بها عدوه معركته الاولى، فليكن منذ اليوم عند معركته الثانية التي لا تنالها خيانة الجنود، ولا يضيرها انحراف الطبائع، ولا تزيدها دسائس العدو ولا أساليب فتنه البارعة الا مضاء ونفوذا وانتصارا مع الايام.

وتلك هي الفذلكة التي أجاد الحسن عليه السلام استغلالها كأحسن ما تكون الاجادة، واستغفل بها معاوية أشد ما يكون في موقفه من الحسن عليه السلام يقظة ونشاطا وانتباها.

انه لبى طلب معاوية للصلح، ولكنه لم يلبه الا ليركسه في شروط لا يسع رجلا كمعاوية الا أن يجهر في غده القريب بنقضها شرطا شرطا. ثم لا يسع الناس – اذا هو فعل ذلك – الا ان يجاهروه السخط والانكار، فاذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الاجيال، واذا بهذا السخط نواة الثورات التي تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية في التاريخ.

وليكن هذا هو التصميم السياسي الذي نزل الحسن عليه السلام من طريقه الى قبول الصلح، ولتكن هذه هي الفذلكة التي استغفل بها معاوية فكانت من أبرز معاني العبقرية المظلومة في الامام المظلوم.

وأي غضاضة على الحسن عليه السلام – بعد هذا – اذا هو وقع الصلح وفق الخطط المرسومة.

وان له من حراجة ميدانه الاول، ومن الامل بنتائج ميدانه الثاني ما يزين له حديث الصلح، فضلا عما يستأثر به هذا الحديث من ظاهرة الاصلاح في الامة، وما يتفق معه من حقن الدماء وصيانة المقدسات، وتحقيق وجهة النظر الاسلامي.

وكانت اشهرا لم تناهز عدد الاصابع العشر، ولكنها ناهزت عدد النجوم هزاهز وزعازع، وكانت قطعة من الزمن يتجه اليها القلب بكل ما يملكه من حب واعجاب، فاحت بروائح النبوة، وتجلت فيها مزايا الامامة الصادقة، وتكشفت على قلتها وقصر مدتها عن حقائق كثير كثير من الناس هنا وهناك. وهي الاشهر التي ختمت أعمالها بأفضل خواتيم الاعمال في الاصلاح، ووصلت بخاتمتها الفضلى مصلحة الدنيا بمصلحة السماء.

واذا بالحسن بن علي عليه السلام، هو ذلك المصلح الاكبر، الذي بشر به جده رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الذي سبق ذكره: ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

ومن السهل ان نفهم دوافع الحسن عليه السلام الى الصلح مما ذكرنا.

دوافع معاوية

أما دوافع معاوية التي اندلف بها من جانبه الى طلب الصلح فقد كانت من نوع آخر لا يرجع في جوهره الى العجز عن القتال، ولا ينظر في واقعه الى وجهة نظر دين أو اصلاح أو حقن دماء، فلا الاصلاح ولا حقن الدماء بالذي يعنى به معاوية فينزل له عن مطامعه في الفتح.

وفيما يلي قائمة مناسبات، تصلح لان تكون بعض دوافعه الى الصلح:

١. انه كان يرى أن الحسن بن علي عليهما السلام، هو صاحب الحق في الامر، ولا سبيل الى اقتناص الامر الا من طريق اسكات الحسن عليه السلام – ولو ظاهرا– ولا سبيل الى اسكاته الا بالصلح.

ما رأيه بأولوية الحسن عليه السلام بالامر، فقد جاء صريحا في كتاب اليه قبيل زحفهما للصراع في مسكن، بقوله له: انك أولى بهذا الامر وأحق به. وجاء صريحا فيما قاله لابنه يزيد على ذكر أهل البيت: **يا بني ان الحق حقهم**،[٢] وفيما كتبه الى **زياد ابن ابيه** حيث يقول له على ذكر الحسن عليه السلام: **وأما تسلطه عليك بالامر فحق للحسن أن يتسلط**.[٣]

وكذلك رأيناه يستفتي الامام الحسن عليه السلام، فيما يعرض له من معضلات كمن يعترف بامامته.[٤]

ويعترف للحسن عليه السلام بأنه **سيّد المسلمين**.[٥] وهل سيد المسلمين الا امامهم؟

٢. انه كان – على كثرة الوسائل الطيعة لامره – شديد التوجس من نتائج حربه مع الحسن عليه السلام، ولم يكن كتوما (كما يدعي لنفسه) يوم قال في وصف خصومه العراقيين: **فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلي**،[٦] ويوم قال فيهم **ما لهم غضبهم الله بشر، ما قلوبهم الا كقلب رجل واحد**،[٧] فكان يرى في الجنوح الى الصلح، مفرا من منازلة هؤلاء ومواجهة عيونهم تحت المغافر!!

٣. انه كان يهاب موقع الحسن عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس، ومقامه الروحي الفريد في العقيدة الاسلامية، فيتقي حربه بالصلح.

وكان يرى من الجائز، أن يقيض الله لمعسكر الشام من يتطوع لتنبيه الناس فيه الى حقيقة أمر الحسن عليه السلام وفظاعة موقفهم منه، الامر الذي من شأنه ان لا يتأخر بمسلمة الجيش في جبهة معاوية عن الانتقاض عليه والنكول عنه، وبالجيش كله عن الانهيار اخيرا.

وكان من سياسة معاوية، **حبس أهل الشام عن التعرف** على أحد من كبراء المسلمين – خارج الشام – لئلا يكون لهم من ذلك منفذ الى انكاره أو الانقسام عليه. ولذلك فلا نعرف كيف تسنى لهذا الشامي معرفة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ومعرفة سبقه الى الايمان ورأفته بالناس وكرمه في العطاء وأولويته بالامر.

وحرى معاوية على تجهيل أهل الشام بأعلام الاسلام الى آخر عهده، وكانت سياسته هذه، هي أداته في التجمعات التي ساقها لحروب صفين اولا، ولحرب الحسن بن علي عليه السلام في مسكن أخيرا.

وتجد ظاهرة هذه السياسة بما فيها من اعلان عن ضعف صاحبها – فيما قاله معاوية ذات يوم **لعمرو بن العاص** وفد تحدى الحسن بن علي عليه السلام، فرد عليه الحسن عليه السلام بحدياه البليغة التي لم يسلم منها المحرض عليها – ايضا– فقال معاوية لعمرو: **والله ما أردت الا هتكي، ما كان أهل الشام يرون أن أحدا مثلي حتى سمعوا من الحسن عليه السلام ما سمعوا**.[٨]

٤. وكان من الرشاقة السياسية التي لا يخطئها معاوية في سبيل طموحه الاناني الا نادرا، أن يدعو الى الصلح فيلح عليه ويشهد على دعوته هذه أكبر عدد ممكن من الناس في القطرين – الشام والعراق – وفي سائر الآفاق التي يصلها صوته من بلاد الاسلام. ثم هو لا يقصد من وراء هذه الدعوة – على ظاهرتها – الا التمهيد لغده القريب الذي ستنكشف عنه نتائج الحرب بينه وبين الحسن عليه السلام. وكان أحد الوجهين المحتملين ان يدال للشام من الكوفة و ان تقضى الحرب و ذيولها على الحسن و الحسين عليهما السلام و على من اليهما من اهل بيتهما و شيعتهما. و لا تدبير – يومئذ– للعذر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يلقى معاوية مسئوليتها على الحسن عليه السلام نفسه و يقول للناس غير كاذب: **انى دعوت الحسن عليه السلام للصلح؛ ولكن الحسن عليه السلام أبى الا الحرب و كنت اريد له الحياة و – لكنه أراد لي القتل و اردت حقن الدماء ولكنه أراد هلاك الناس بينى و بينه!**

صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان

المادة الاولى: تسليم الامر الى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله[٩] – وبسيرة الخلفاء الصالحين؛[١٠]

المادة الثانية: أن يكون الامر للحسن عليه السلام من بعده،[١١] فان حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام،[١٢] وليس لمعاوية أن يعهد به الى احد؛[١٣]

المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة،[١٤] وأن لا يذكر عليا الا بخير؛[١٥]

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشمله تسليم الامر. وعلى معاوية أن يحمل الى الحسين عليه السلام كل عام الفي الف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد.[١٦]

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الاسود

والاحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع احدا بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة.[١٧]

وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحدا من شيعة علي بمكروه، وأن اصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئا، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل الى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب اصحاب علي عليه السلام حيث كانوا.[١٨]

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي عليه السلام، ولا لاخيه الحسين عليه السلام، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم، في أفق من الآفاق.[١٩]

قال **ابن قتيبة:** ثم كتب **عبد الله بن عامر**، يعني رسول معاوية الى الحسن عليه السلام – الى معاوية شروط الحسن عليه السلام كما أملاها عليه، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والايمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به الى عبد الله ابن عامر، فاوصله الى الحسن عليه السلام.[٢٠]

الميدان الجديد

رأينا أن الشروط التي أخذها الحسن بن علي عليه السلام على معاوية فيما تم بينهما من التعاهد على الصلح، كانت أكثر شروط عرفها التاريخ عهودا مؤكدة وأيمانا مغلظة، وكان معاوية هو الذي كتب نسختها الاخيرة بقلمه ووقعها بخاتمه.

ولم يكن بدعا أن يترقب الرأي العام الاسلامي، يومها، الوفاء بها كما يجب لمثل هذه العهود والايمان، وكما هو الانسب بشخصيتين من هذا الطراز في الاسلام.

اما تلك المفاجأة الغريبة التي سبق اليها معاوية في خطابه على منبر الكوفة، ولما يمض على امضائه المعاهدة الا أيام ربما كانت لا تزيد على أسبوع واحد، فقد وقعت في المجتمع الاسلامي وقوع الصاعقة التي لا يسبقها انذار. فقال (على رواية **المدائني**) كما اشير اليه آنفا: **وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين!**، وصرح (على رواية **أبي اسحق السبيعي**) بقوله: **ألا ان كل شيء أعطيته للحسن بن علي عليه السلام تحت قدمي هاتين لا أفي به!** ثم شهد عليه **الحصين بن المنذر الرقاشي** قائلا: **ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجرا واصحاب حجر، وبايع لابنه، وسم الحسن عليه السلام!**[٢١]

وهكذا قدر لهذا الرجل الواسع الممتلكات الضيق الملكات أن يعود بعد حنثه بأيمانه علنا، ونقضه لمواثيقه صراحة، أبعد الناس عن ثقة الناس، وأقلهم وزنا في المقاييس المعنوية التي يتواضع عليها الناس، وكان جزاء وفاقا، أن ينكره أكثر المغرورين بما كان أنكر هو عهوده ومواثيقه، وأن يضعوه من أنفسهم في المحل الذي وضع هو شروطه من نفسه.

وانها للمبادأة الاولى التي ابتدأ الحسن عليه السلام زحفه منها الى ميدانه الثاني. ومن هنا وضع أول حجر في البناء الجديد لقضية أهل البيت عليهم السلام. ثم مشى موكب الزمان، فاذا بالخطوات الموفقة تمشي وئيدا مع الزمان واذا بطلائع النجاح كفيالق الجيش التي تتلاحق تباعا لتتعاون على الفتح. وان من الفتوح ما لا يعتمد في أداته على السلاح، ومنها ما يكون وسائله الاولية أشبه بالهزيمة، حتى ليخاله الناس تسليما محضا، ولكنه في منطق العقلاء، ظفر لامع وفتح مبين.

وكان من أبرز الخطوات التي وفقت اليها خطة الحسن عليه السلام عن طريق الصلح، في سبيل التشهير بمعاوية حيا وميتا، والنكاية ببني أمية اطلاقا.

١. أنها ألبت على معاوية في بداية عهده الاستقلالي عددا ضخما من الشخصيات البارزة في المملكة الاسلامية.

فلعنه صراحة بعضهم، وخبثه آخر، وقرعه وجاها ثالث بل ثلاثة، وقاطعه رابع، وانكر عليه حتى مات غما من فعاله كبير خامس، وقال فيه أحدهم: وكان والله غدارا. وقال الآخر: **اربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة.**[٢٢]

٢. وخلقت له معارضة الطبقات التي شملتها بنود المعاهدة، سواء في الامان المفروض فيها، أو في الحقوق المالية المنصوص عليها. فاذا بعالم عظيم من الناس أصبح ينظر الى معاوية نظره الى العدو الواتر في النفس والمال، بما نقضه من شروطهم، في نفوسهم وأموالهم؛

٣. وظن معاوية أنه سيجعل من نقضه معاهدة الحسن عليه السلام وضعا شكليا لبيعة ابنه يزيد، يتغلب به على عنعنات الاسلام المقررة بين المسلمين في أمر البيعة وصلاحية الخلافة.

ولكنه لم يلبث أن اصطدم بالواقع، فاذا بهذه البيعة الجديدة، مثار النقمة الاسلامية العامة التي اصبحت تتحسس منذ ترشيح يزيد للخلافة بنوايا بني أمية من الاسلام؛

٤. ثم كانت البوائق الدامية التي جهر بها معاوية بعد نقض الصلح، في قتله خيار المسلمين – من صحابة وتابعين – بغير ذنب، عوامل أخرى للتشهير به، ولتحطيم معنوياته المزعومة، تمشيا مع الخطة المكينة، التي أرادها الامام الحسن عليه السلام منذ قرر الاقدام على الصلح؛

٥. وقضية الحسين في كربلاء سنة ٦١ هجري، كبرى قضايا الحسن عليه السلام فيما مهد له من الزحف على عدوهما المشترك، وعدو أبيهما من قبل. ولا ننسى أنه قال له يوم وفاته: «**ولا يوم كيومك أبا عبد الله.**»

وهذه الكلمة على اختزالها – المقصود – هي الرمز الوحيد الذي سمع من الحسن عليه السلام، فيما يشير به الى الخطة المقنعة بالسر، التي اعتورها الغموض من ست جهاتها، منذ يوم الصلح الى يوم صدور هذا الكتاب. وانك لتقرأ من هذه الكلمة لغة القائد الاعلى الذي يوزع القواد لوقائعهم، ويوزع الايام لمناسباتها، ثم يميز أخاه ويوم أخيه فيقول: ولا يوم كيومك.

وكان من طبيعة الحال ان تبعث المناسبات الزمنية حلقات الخطة كلا ليومها. وكان لابد لكل حلقة أن توقظ الاخرى، وأن تؤرث السابقة اللاحقة، وتوقد الاولى جذوة الثانية، وهكذا دواليك.

وحسب الحسن عليه السلام لكل هذه الخطوات حسابها المناسب لها، منذ قاول معاوية على هذا الصلح المعلوم، ودرس – الى ذلك – نفسيات خصومه بما كانت تشرئب له من النقمة عليه وعلى أخيه وعلى شيعته وعلى أهدافه جميعا. وكانت هذه المطالعات بنطاقها الواسع، الاساس الذي بنى عليه الحسن عليه السلام خطواته المستقبلة فيما مهده لنفسه ولعدوه معا.

وكان من طبيعة الحال، أن تلقي هذه الخطوات قيادتها الى الحسين فيما لو حيل بين الحسن عليه السلام وبين قيادتها بنفسه. وهذا هو ما أردناه في بداية هذا القول.

وهكذا كانت نهضة الحسين الخالدة الخطوة الجبارة في خطة أخيه العبقري العظيم.

٦. ثم لم تزل الخطة البعيدة الاهداف، تستعرض في الفترات المتقاربة التاريخ، بعد واقعة الحسين بكربلاء، سلسلة أحداث قانية انبثقت من صميم الوضع الاموي المتشابه في أكثر ملامحه – بين عهد معاوية وابن عمه الحمار.[٢٣]

وعادت الاموية في عرف المسلمين المعنيين باسلاميتهم الحكومة الجائرة المتغلبة بالظلم والاسراف وبالتحلل من كثير كثير من النواميس الدينية. واشتدت نقمة الناس عليها مع تمادي الايام، وكان أي علم يرفع لحرب بني أمية، لا يعدم الالوف وعشرات الالوف من المبايعين له على الموت.

اذا، فلتكن عملية الصلح – على هذا – البذرة المستمدة من صميم مصلحة الاسلام ومصلحة أهل البيت عليهم السلام، ومن الوحي ايضا. وليعد الحسن بن علي عليه السلام بعد أقل من قرن، الغالب المنتصر على الخصوم المغلوبين، المنهزمين في التاريخ.

خطوات موفقات، وسياسة صاعدة لا تبلغها السياسات، في صمت وتواضع واتئاد، وتحت ظل اصلاح وتسليم وحقن دماء.

وهل العظمة شيء آخر غير هذا، ياترى؟

الهوامش:

١. هذا هو الصحيح كما دل عليه خطاب الحسن عليه السلام فيما استشار به اصحابه في المدائن فقال: «ألا وان معاوية دعانا لامر ليس فيه عز ولا نصفة...»، وكما دلت عليه مصادر أخرى خلافا لبعض المؤرخين الآخرين، والترجيح لخطاب الحسن عليه السلام.

٢. «شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد»، ج ٤، ص ٥ وص ١٣ وص ٧٣.

٣. نفس المصدر.

٤. وتجد الشواهد الكثيرة على ذلك فيما أورده اليعقوبي في تاريخه، ج ٢، ص ٢٠١ وص ٢٠٢، وفيما استعرضه ابن كثير في «البداية والنهاية»، ج ٨، ص ٤٠، وفيما رواه في «البحار»، ج ١٠، ص ٩٨.

٥. «الامامة والسياسة»، ص ١٥٩–١٦٠.

٦. المسعودي، «هامش ابن الاثير»، ج ٦، ص ٦٧ وغيره.

٧. الطبري، ج ٦، ص ٣.

٨. «المحاسن والمساوئ» للبيهقي، ج ١، ص ٦٤.

٩. المدائني – فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في «شرح النهج البلاغة»، ج ٤، ص ٨.

١٠. «فتح الباري شرح صحيح البخاري» – فيما رواه عنه ابن عقيل في النصايح الكافية – ص ١٥٦، الطبعة الاولى، و«البحار»، ج ١٠، ص ١١٥.

١١. «تاريخ الخلفاء للسيوطي»، ص ١٩٤، و ابن كثير، ج ٨، ص ٤١، و«الاصابة»، ج ٢، ص ١٢ و١٣، وابن قتيبة، ص ١٥٠ و«دائرة المعارف الاسلامية» لفريد وجدي، ج ٣، ص ٤٤٣، الطبعة الثانية وغيرهم.

١٢. «عمدة الطالب لابن المهنا»، ص ٥٢.

١٣. المدائني – فيما يرويه عنه في «شرح النهج البلاغة»، ج ٤، ص ٨، و«البحار»، ج ١٠، ص ١١٥، و«الفصول المهمة لابن الصباغ» وغيرهم.

١٤. «أعيان الشيعة»، ج ٤، ص ٤٣.

١٥. الاصفهاني في «مقاتل الطالبيين»، ص ٢٦، و «شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد»، ج ٤، ص ١٥ وقال غيرهما: ان الحسن عليه السلام طلب الى معاوية أن لا يشتم عليا، فلم يجبه الى الكف عن شتمه، وأجابه على أن لا يشتم عليا وهو يسمع. قال ابن الاثير: ثم لم يف به أيضا.

١٦. تجد هذه النصوص متفرقة في «الامامة والسياسة»، ص ٢٠٠ والطبري، ج ٦، ص ٩٢ و«علل الشرائع لابن بابويه»، ص ٨١ وابن كثير، ج ٨، ص ١٤ وغيرهم.

١٧. المصادر: «مقاتل الطالبيين»، ص ٢٦، «شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد»، ج ٤، ص ١٥، «البحار»، ج ١٠، ص ١٠١ و١١٥، الدينوري، ص ٢٠٠، ونقلنا كل فقرة من مصدرها حرفيا.

١٨. يتفق على نقل كل فقرة أو فقرتين أو أكثر، من هذه الفقرات التي تتضمن الامان لاصحاب علي وشيعته، كل من الطبري، ج ٦، ص ٩٧، وابن الاثير، ج ٣، ص ١٦٦، وأبي الفرج في «المقاتل»، ص ٢٦، و«شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد»، ج ٤، ص ١٥، و«البحار»، ج ١٠، ص ١١٥، و«علل الشرائع»، ص ٨١، و«النصائح الكافية»، ص ١٥٦.

١٩. «البحار»، ج ١٠، ص ١١٥، و«النصائح الكافية»، ص ١٥٦ – ط. ل.

٢٠. «الامامة والسياسة»، ص ٢٠٠.

٢١. يراجع ابن ابي الحديد، ج ٤، ص ١٦ و٦ و٧.

٢٢. كان الذي لعنه صاحبه سمرة، والذي وصفه بأخبث الناس صديقه المغيرة، وكان الذي قرعه وجاها عائشة وآخرون، والذي قاطعه مالك بن هبيرة السكوني، والذي مات غما من فعاله الربيع بن زياد الحارثي، وكان السادس أبا اسحق السبيعي، والسابع الحسن البصري. ويراجع عن ذلك «شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد» وابن الاثير و«مروج الذهب» وغيرها.

٢٣. هو مروان الاموي الذي انقرضت دولة بني أمية على يده – ويلقب بالحمار و بالجعدي نسبة الى مربيه (الجعد بن درهم). وكان ابن درهم زنديقا فعلمه مذهبه، وكان الناس يذمونه بنسبته اليه. ولما تعقب الفاتحون العباسيون مروانا في هزيمته، أودع حرمه الكنيسة في بوصير! – فأين هو عن المساجد يا ترى ؟ – يراجع ابن الاثير، ج ٥، ص ١٥٩ و ١٦٠.

المصدر: «صلح الحسن عليه السلام»، منشورات الشريف الرضي، ص ٢٤٦–٢٩٨ بالتلخيص.

* الرقم ٦٦
* رمضان كريم
١٤٤١

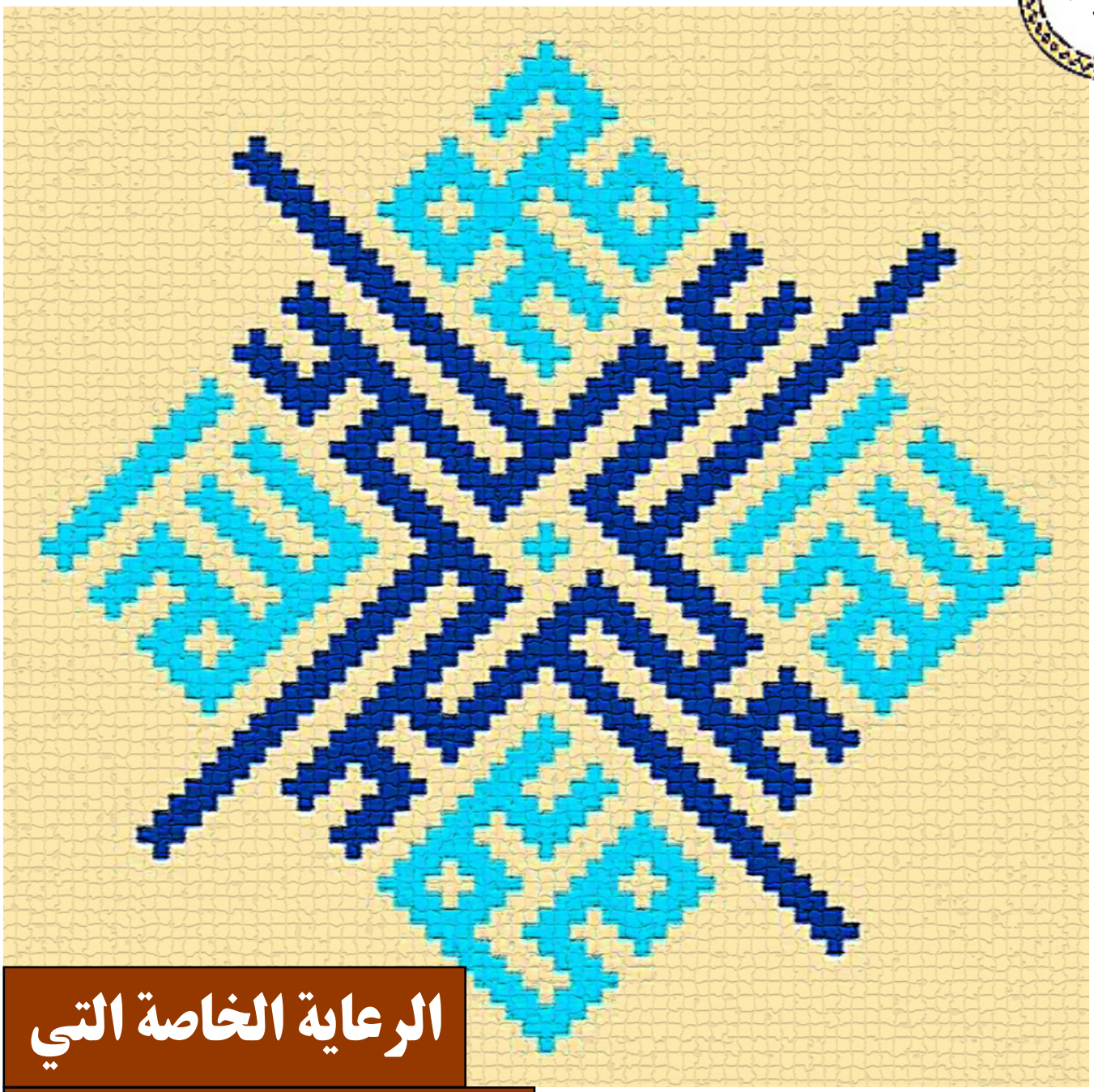

الرعاية الخاصة التي اولاها النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام

عبدالرّحيم مبارك

من خطبة لأميرالمومنين عليه السلام في «نهج البلاغة» قال:

نو قد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. وضعني في حجره و أنا وليد، يضمني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّني جسده، يُشمّني عَرفه. و كان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه. و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل... و لقد كنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاقتداء به. و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيري. و لم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله و **خديجة** عليها السلام و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرّسالة. و أشمّ ريح النبوّة.

و لقد سمعت رنّة **الشيطان** حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلتُ:

يا رسول الله ما هذه الرنّة؟

فقال صلى الله عليه وآله: «**هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى. إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك لوزير، و أنّك لعلىّ خير.**»

المصدر: «خير البرية و الالطاف الالهيّة»، بيروت، دارالعلوم، صص ١٦٤-١٦٥.